جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية الآداب واللغات
قسم الآداب و اللغة العربية

مذكرة ماستر

لغة و أدب عربي
دراسات أدبية
أدب عربي حديث و معاصر

رقم: ح08/ق18 /2018

إعداد الطالب:
نجاة أحفيظ

يوم: 26/06/2018

التناص في ديوان "تفحات ولفحات" لـ:يوسف القرضاوي

لجنة المناقشة:

ناجي صالحي	أ. د.	جامعة محمد خيضر بسكرة	مناقش
سعاد طويل	أ. مح أ	جامعة محمد خيضر بسكرة	مقرر
بلقاسم رفرافي	أ. مح أ	جامعة محمد خيضر بسكرة	رئيس

السنة الجامعية : 2017 - 2018

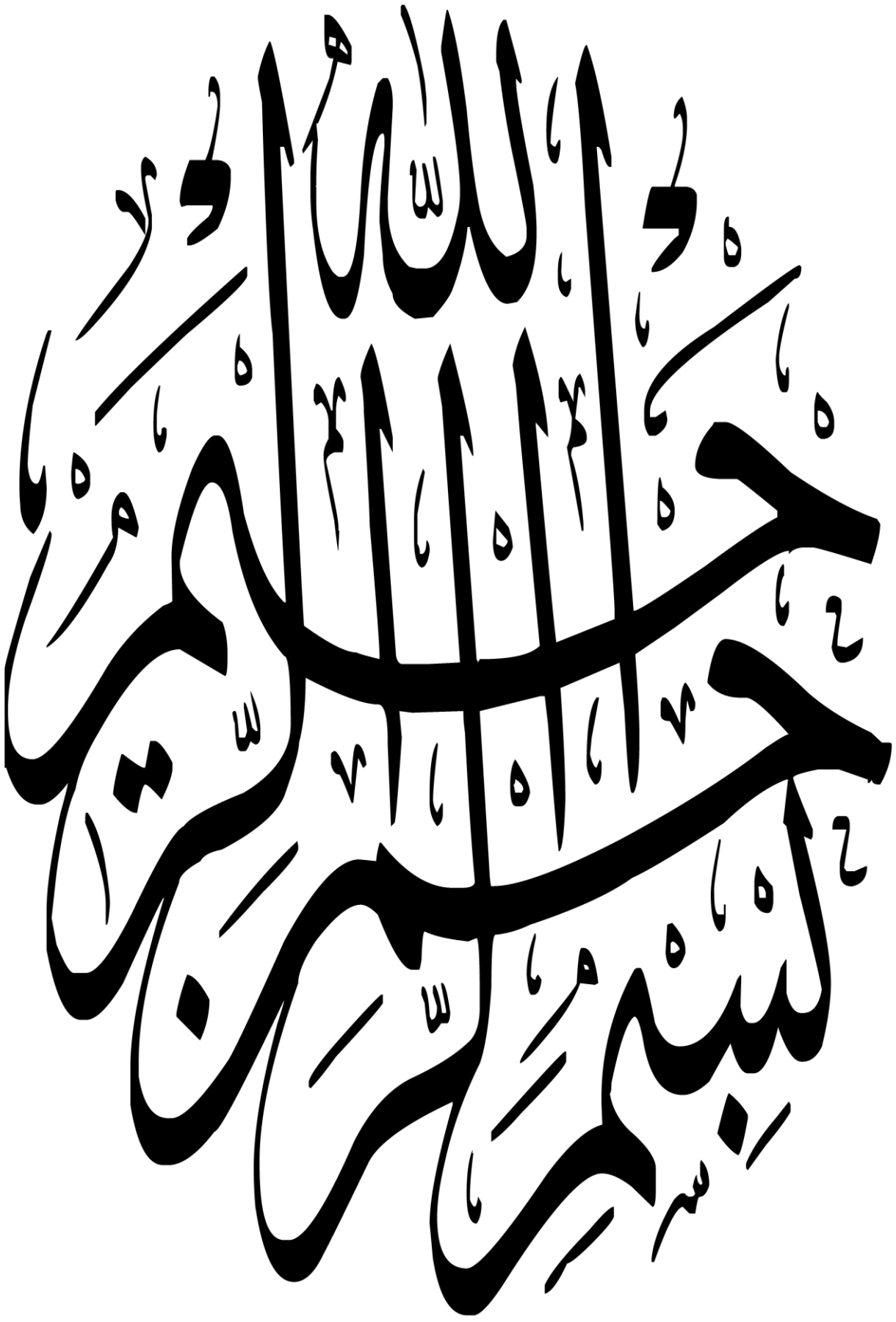
بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥﴾

سورة التوبة الآية 105

شكر و تقدير

الحمد لله كثيرا له الفضل و له الشكر فلا توفيق إلا به ولا بركة إلا باسمه و الحمد لله أولا و آخرا، والصلاة و السلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد ؛فيسرني أن أتقدم بالشكر لكل أساتذة قسم اللغة العربية على نصائحهم و ارشاداتهم و توجيهاتهم خلال مساري الدراسي

و أخص بالذكر الدكتورة "سعاد طويل" فلها الشكر والتقدير لإشرافها و تحملها متاعب الإشراف على هذه الدراسة منذ أن كانت بذّرة حتى أصبحت زهرة، وذلك بفضل النّهر المتدفق من إرشاداتها و آرائها القيمة التى أثرت هذه الدراسة .

كما أشكر اللّجنة الموقرة التى تكرمت بالموافقة على مناقشة هذه المذكرة.

ولكل من أسدى لي نصّحا، و قدم لي عونا، و الله ولي التوفيق.

مـــقدمـــة

مقـــــدمة

شهد الأدب بكل أنواعه تطورًا كبيرًا بفعل تلك المقاربات النقدية التى أخذت من النص الأدبي مادة للدراسة و التمحيص و استطاعت تلك النظريات استنطاق النص الأدبي، لقيت اهتمامًا كبيرًا من النقاد و كان لها الحظّ الوافر من الدراسات ،ومن أبرزها نجد "**التناص**" ،الذي أصبح ظاهرة من الظواهر السائدة في الشعر الحديث والمعاصر

حضور التناص نجده حاضرا عند الشعراء و الكتاب ، فلا مفر لهم من الوقوع فيه سواء عمدا أم محض صدفة، فالشاعر يجد نفسه قد استقى من النصوص القديمة والتى سبقت نصوصه أو تعاصره فينهل منها ليتكئ عليها في بناء تجربته الشعرية، ومن المصادر التى قد يقطف منها القرآن و السيرة النبوية و النصوص النثرية و الشعرية و لكي يبدع الشاعر في توظيف التناص في شعره عليه أن يكون مطلعا على ثقافات متعددة.

تهدف دراستنا في الكشف مواطن وتجليات التناص في ديوان " **نفحات ولفحات لـ :يوسف القرضاوي**" و رصد أهم المصادر التى استقى منها للتعبير عن حالته الشعورية، وموقفه من المأساة التى حلت بوطنه ،فنجدها المصادر تتنوع بين الدين و الأدب، وهذا يدل على تشبع الشيخ و إطلاعه على الدين و الأدب فأضفى التناص على قصيده قيما جمالية و فنية و أدبية، و تمكن من إيصال كلمته وتحقيق هدفه.

و يعود سبب اختيارنا لهذا الموضوع المعنون بـ:" **التناص في ديوان يوسف القرضاوي _ نفحات ولفحات_**" لقلة الدراسات لهذا الديوان .

و عليه تمثلت الإشكالية في:

_ ما أنواع التناص التى جاءت في شعر يوسف القرضاوي؟

_ ما مواطن التناص في ديوان " نفحات ولفحات"؟

_ وهل أصاب الشاعر في استخدام هذه الظاهرة وفق ما يخدم حالته الشعورية؟ وهل عبر عن معانيه و حقق هدفه؟

وللإجابة على هذه الأسئلة اعتمدنا على خطة اشتملت على مقدمة و ثلاثة فصول و خاتمة، تناولنا في الفصل الأول ماهية التناص و نشأته و تطوره في النقد الغربي والعربي، و إلى جانب ذلك عرجنا على أقسامه وآلياته ،في حين خصصنا الفصل الثاني والثالث للبحث في مواطن التناص في ديوان "نفحات و لفحات"، تناولنا في الفصل الثاني التناص الديني، أما الثالث أدرجنا فيه التناص الأدبي، ثم انهينا دراستنا بخاتمة تضمنت مجمل الاستنتاجات التى توصّلنا إليها .

اعتمدنا في ذلك على المنهج الوصفي و آلية تحليل الذي اتبعناه في إظهار مواطن التناص وتحليلها من أجل الوصول إلى الغاية والهدف من استدعاء هذه النصوص الغائبة.

و من أهم المراجع التى اعتمدنا عليها نذكر: كتاب التناص نظريا وتطبيقيا لـ: أحمد زغبي، و كتاب التناص في الشعر العربي المعاصر لـ: ظاهر محمد الزواهرة، كتاب تحليل الخطاب الشعري إستراتيجية التناص لـ: محمد مفتاح، كتاب علم النص لـ : جوليا كريسفيا.

وإن كانت هناك صعوبات تستحق الذكر فإنها تكمن في تعدد التعريفات للمصطلح الواحد، هذا ما أدى إلى صعوبة التحكم فيه، وأيضا صعوبة الموازنة بين الفصول.

و في الأخير نشكر الله عز وجل الذي وفقنا لهذا العمل و أنعم علينا بنعمته كما نتوجه بالشكر الجزيل إلى الدكتورة المحترمة "**سعاد طويل** "لتكرمها وتفضلها بالإشراف على هذه الدراسة فلها منا خالص الشكر والتقدير والإحترام.

الفـــــــــــــــــــــــــصل الاول

التـــناص المفهوم والنشأة والتطور

1_ مفهوم التـــــــــــــناص:

1_1 لـــــــــــــــــغة

1_2 اصـــــــــــــــــطلاحا

2_ التنـــــــــــــاص في النقد:

2_1 التـــــــــــناص في النقد العربي

2_1 التـــــــــــناص في النقد الغربي

3_ آليات و مستويات التناص:

3_1 آليات الـــــتناص:

3_ 1_1 تمطـــــــــــــــــــيط

3_1_2 الإيـــــــــــــــــــجاز

3_2 مستويات التناص:

3_ 2_1 عند جـــــــوليا كريستفيا

3_ 2_2 عند محـــــــــــمد بنيس

1_ مـفهوم التنـــــاص :

يعد التناص ظاهرة فنية عرفها الشعر العربي سواء الشعر القديم أم الحديث ولم ينحصر في النص الشعري فقط، بل مسّ جل الفنون الأدبية لذلك كان لها نصيبا في الدراسات النقدية حيث كانت مادة دسمة للدراسة والتمحيص لدى كثير من النقاد والباحثين وللضرورة المنهجية لتناول مفهوم" التناص" لغة و اصطلاحا.

1_1 لغـــــة:

لتحديد مفهوم التناص لغويا يتوجب علينا الرجوع إلى أمهات الكتب من المعاجم والقواميس لنتوصل إلى مفهوم واضح وعليه نجد ما جاء في معجم الوسيط (تناص القوم: ازدحموا)[1] وجاء أيضا في لسان العرب: (النّص: رفعك الشيء، نصَّ الحديث ينصُّه نصًّا: رفعه وكل ما أظهر فقد نُصّ وقال عمرُو بن دينار ما رأيت رجلا أنص للحديث من الزّهيري، أي ارفع له وأسند:يقال نصَّ الحديث الى فلان رفعه)[2]، و ورد في معجم المنجد الوسيط:(نصص نصَّ: حدّدَ و عيَّن بموجب نصَّ، قضى، قرَّر: قانون ينُص على عقوبة الإعدام. نصّ:ج نصوص صغة الكلام التى وضعها مؤلف: رجع إلى النّصّ أثر مكتوب مؤلف أدبي صيغة كلام كما ورد مكتوبا: نص كتاب) [3]

من خلال التعاريف اللّغوية التى انطوت تحت مادة "نصص" في جلّ المعاجم نجدها قد تولدت عليها مجموعة من معاني ومن أبرزها ازدحام، الاسناد، الرفع، ونجد أقرب المعاني لمصطح التناص وهو ما جاء في معجم الوسيط "ازدحم القوم" حيث قد أدت المعنى الكامل لمصطلح التناص والذي هو تداخل و التعالق النصوص فيما بينها.

---

[1] مصطفى ابراهيم و آخرون ،المعجم الوسيط ،دار تراث العربي ،بيروت ،لبنان ،د ت (مادة نصص) ص 956.

[2] ابن منظور، لسان العرب، صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 1997، المجلد السابع مادة نصص، ص 97.

[3] صبحي حمودي، المنجد الوسيط في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرف، بيروت، لبنان، ط1 ،2003، مادة نصص،ص 1025.

2_1 اصطلاحا:

تعددت مفاهيم (مصطلح التناص intertextuality في الجانب الاصطلاحي لذا نجده أحدث في النقد العربي الحديث حراكا واسعا وشغل الحداثيين جميعا، وأثار بينهم جدلا نقديا، كان مؤداه اختلاف النقاد العرب على ثابتة ايجاد صيغة لفظية أو ترجمة موحدة أو ثيمة لغوية لمصطلح التنّاصّ، فأحيانا يترجم الى تنّاص، وأحيانا أخرى يترجم الى بينّصّية، التزاما بأمانة نقل المصطلح باللّغة الأصلية الذي يجزئه بعض النقاد الحداثيين الى (بين _ inter) و(نص _ text).

ومصطلح التنّاصّ ،فهو ترجمة للمصطلح الفرنسي intetext وبذا تأتي كلمة inter:في الفرنسية: التبادل بينما تشير كلمة: text الى النص في الثقافة الغربية والتي هي من أصل لاتيني textus ;وتعني النسيج أو حبّك.[1]

لذلك نجد تعاريف عدة لمصطلح التنّاص ،فلم يستقر له تعريف واضــح وثابت.

أما "فوكو Foucaut" :فنجده يؤدي في تقديمه لمفهوم التناص (أنه لا وجود لما يتولد من ذاته بل لما يتولد من حضور أصوات متراكمة ومتسلسلة ومتتابعة وهذا فإن تنّاص عنده يتصل بعمليات الامتصاص والتحويل الجذري أو الجزئي بعديد من النّصوص الممتدة بالقبول أو الرفض في نسج النص الأدبي المحدد .ويأتي "جرار جنيت Jarar Juniyaat ليضع تعريف لمصطلح التنّاص و يخصصه لوجود مشترك لنصين أو لعدة نصوص في نص آخر حضورا فعليا)[2]

خلاصة القول: إن التنّاص ظاهرة لغوية معقدة تستعصي على الضبط والتقنيين اذ يعتمد في تمييزها على ثقافة المتلقي وسعة معرفته وقدرته على الترجيح.

---

[1] ابراهيم مصطفى محمد الدهون، التناص في شعر أبي علاء المعري، عالم الكتاب الجديد، عمان، الأردن، د ط 2011، ص،10.

[2] حصة بادي، التناص في الشعر العربي الحديث، دار كنوز المعرفة العلمية، عمان، الأردن، ط 1 ،2009،ص 21.

يمكن القول إن التناص ما هو إلاّ تداخل و تعالق النصوص فيما بينها أي دمج نص أو أفكار في نص جديد وعليه يتولد لدينا نص حديث الولادة مستمد بعض الأفكار القديمة ليصبح نصا قائما بذاته.

2_ التنّاص في النقد:

تركزّ الدّراسات النقدية والأدبية الحديثة على النص، ويتجلى مثل هذا التركيز في الدراسات الأسلوبية والألسنية فالنّص الأدبي ليس نظاما لغويا مقفلا و مغلقا و مستقلا عن العالم المحيط، و إنّما النّص سلسلة من الارتدادات و الانعكاسات، وهذا ما جعل من التنّاص يظهر وينمو داخل اطار النّص الأدبي مكونا لنفسه مكانة، و أساسا محوريا للعمل الأدبي لما يشكله من حمولات معرفية وعلاقات تفاعلية وروابط و وشائح اتصال بين نص وآخر أو بين نص و نصوص عديدة لهذا نجد هناك تعدد التيارات والمذاهب التي تبنته؛ إذ تباينت تعريفاته ومعانيه وأشكاله وآلياته من ناقد الى آخر وتضاربت الآراء حوله إذن؛ فالتنّاص مفهوم نقدي جديد دخل حقل النقد الأدبي الحديث مؤخرا مقارنة بالدّراسات النقدية الأجنبية وقد كانت السنوات (1979_1982 م) الغنية بالاصدرات شاهدا على مرحلة النضج خاصة بعد ظهور أعمال ريفاتير Rifatir انتاجية النص عام (1979 م) والتعالق النصي عام 1982 م وأثر التناص عام(1979 م)و سيميائية الشعر عام 1982 م واحتل مكانة في الساحة النقدية العربية المعاصرة أحدث ضجة وأصبح من أبرز المفاهيم التى استقطبت العديد من الدراسات الشعرية الغربية، وما بعد البنيوية والسيميائيات النصية كذلك نجد الدّارسين كرّسوا جهودا مضنية، وقدموا مهادا نظريا زاخرا في التنّاص وآلياته وأشكاله، ولقي اهتماما كبيرا فقد تناولت التنّاص دراسات جمة ،سواء أكانت مِؤلفات أم رسائل جامعية وجاء يندرج تحت اسم (التناص في شعر شاعر معين...)أو التنّاص نقديا).[1]

[1] ينظر: ابراهيم مصطفى محمد دهون، التناص في شعر ابي علاء المعري، ص 12،11.

2_1 التناص في النقد العربي :

لقد اهتم النقاد العرب بظاهرة التناص لذلك (الناظر في طبيعة المؤلفات النقدية العربية يعطينا صورة واضحة لوجود أصول لقضية التناص فيه إذ اقتفى كثير من الباحثين المعاصرين العرب أثر التناص في الأدب العربي القديم، وأظهروا وجوده فيه تحت مسميات أخرى وبأشكال تقترب من المصطلح الحديث وقد أوضح "محمد بنيس" ذلك، وبين أن الشعرية القديمة قد فطنت لعلاقة النص بغيره من النصوص منذ الجاهلية وضرب مثلا للمقدمة الطللية والتي كانت تعكس شكلا لسلطة النص، وقراءة أولية لعلاقة النصوص ببعضها البعض وللتداخل النصي بينهما)[1]

لقد احتفى النقاد العرب المعاصرون بمفهوم التنّاص احتفاء كبيرا، كما تمثلوه في كتاباتهم و ناقشوا المفهوم نظريا وتطبيقيا، وحاول قسم منهم الإجابة عن الأسئلة الملّحة وأشكاله وطريقة الكشف عنه داخل النص الأدبي، والأثر أو الفاعلية الفنية التي يحققها للنّصّ مع الفارق في مستوى التطبيق والفهم بين ناقد و آخر.

وعلى ذلك فقد انقسمت رؤية النقاد العرب _ ضمن رؤاهم _ للتنّاص إلى اتجاهات ثلاثة:

الأول: "عمد أصحابه إلى المقارنة بين التناص والطرح القديم للمصطلحات البلاغية العربية القديمة: مثل الاقتباس والتضمين والمعارضات والسرقات كدراسات عبد الملك مرتاض، ومحمد عبد المطلب، وإبراهيم السنجلاوي وأحمد أمين زغبي.

أما ثانيا: انصب فكر ممثليه على أطروحات النقاد الغربيين من "جوليا كرستيفا Julia Kristeva" وبارت وجنيت فلم يخرجوا عن اطار التنظيرات الغربية في مفهوم التناص كأعمال محمد مفتاح وتوفيق الزيدي وصلاح فضل ،ومحمد بنيس.

ثالثا: نحا أنصار هذا الاتجاه إلى تأسيس أبعاد نظرية فيه ،فراحوا ينظرون فيه، ويجزؤنه أجزاء و يشعبونه إلى أقسام مضمونية تارة و فنية تارة أخرى

[1] ظاهر محمد الزواهرة، التناص في الشعر العربي المعاصر، دار الحامد، عمان، الاردن، ط 1، 2012، ص26،27.

مما جعل حديثهم عنه يتفرع يأخذ أقساما مختلفة ،متشبعة كتنظيرات محمود جابر عباس وحميد حمداني و"شربل داغر Charbl Daghar).[1]

وعليه نجد أن هناك العديد من نقاد والدارسين العرب الذين تناولوا قضية التناص و وضعوا له تعريفا خاصا به لذا نجده لقي اعتناء كبيرا من قبل طرف هولاء النقاد العرب منهم:

محمد مفتاح يقول: إن التناص (هو تعالق "الدخول في علاقة" نصوص مع نص حديث بكيفيات مختلفة، و يرى محمد مفتاح أن التناص إذن للشاعر هو بمثابة الهواء والماء والزمان والمكان للإنسان فلا حياة له بدونهما ولا عيشة له خارجهما).[2]

وعلى هذا الأساس فإن مؤدي أقاويله أن(التناص ظاهرة لغوية متشابكة تصعب على التحديد أو الضبط ،لذا ألحّ على أنها تتطلب فهما واعيا وإحساسا متناميا لا أهمية النص الأدبي، وهي أهمية ترتد الى حملة نواح أهم ما فيها أن النّص الشعري، هو أداة التى يستطيع متلقيه بواسطتها استكشاف عوالم الداخلية وخارجية شكلت التجربة بشيء من لانسجام والاتساق.

في الأخير يمكن القول إنه رغم اتساع نظرة مفتاح للتناص وفهمه لآفاقه فإنه يربط التناص بالمفاهيم البلاغية القديمة المعروفة في الثقافتين الغربية والعربية كالمعارضة والمعارضة الساخرة والمثاقفة والسرقات، ثم يرى بعدئذ أن التناص يحدث على شكلين اثنين بحسب المرجع والإحالة وهما تناص الداخلي والخارجي).[3]

---

[1] ابراهيم محمد مصطفى محمد دهون، التناص في شعر أبي علاء المعري،عالم الكتاب،عمان،الأردن ،ط 1، 2011 ،ص 17،18.

[2] محمد مفتاح ،تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص ،دار البيضاء ،بيروت ،لبنان ،ط 1 ،1902،ص 121 125

[3] ابراهيم مصطفى محمد دهون ،التناص في شعر ابي العلاء المعري ،علم كتاب ،عمان ،الأردن ،ط 2011،،1 ص 20.

أما "عبد اللّه الغذّامي" واستنادا لما جاء في كتابه الخطيئة والتفكير والذي يعد من أسبق الدراسات العربية في مجال التناص، (فقد حاول أن يربط التناص ببعض المفاهيم والمصطلحات النقدية الموروثة وبخاصة آراء "عبد القاهر الجرجاني" في البلاغة العربية القديمة، لاسيما بما يتعلق بمفهوم (الأخذ) وشدة و اقترابه من مفهوم التنّاص الحديث بيدّ أن التنّاص عند الغذّامي هو "سيمولوجي وتشريحي "فنظرة الغذّامي للتناص تقوم على الفهم دقيق لوظيفتيه الابداعية التي تشكل احتمالية الدلالة من خلال إشارات النصوص المتداخلة والمنفتحة على التاريخ والمستقبل واللافت للانتباه أن الغذّامي يترجم التنّاص ترجمات شتى من مثل: تداخل النصوص النصوص التداخلة، النصوصية).[1]

عليه فان الغذامي يحصر مصطلح التناص ضمن تداخل النصوص فيما بينها يقول إن (النص المتداخل هو نص يتسرب داخل نص آخر ليجسد مدلولات سواء وعي الكاتب ذلك أو لم يع).[2]

أما "سعيد يقطين" فجعل التفاعل النصي بدل التنّاص، و يعرف (النص على أنه بنية دلالية تنتجها ذات "فردية أو جماعية "ضمن بنية نصية منتجة في إطار بنيات ثقافية أو اجتماعية محددة ،ويعرفه أيضا أنه يتم انتاجه ضمن بنية نصيّة كبرى تتحدد فيها النصوص وتتقاطع وتتداخل وتتعارض وعلاقة النص بهذه البينة النصّية الكبرى هي علاقة صراعية أو لنقل جدلية تقوم على أساس التفاعل الذي يأخذ طابع الهدم أو البناء)[3]

قد صنف التفاعل النصي إلى صنفين:

---

[1] ابراهيم مصطفى محمد دهون، التناص في شعر ابي العلاء المعري، ص 18،19.

[2] عبد الله الغذامي ،الخطيئة والتكفير من البنيوية الى التشريحية ،الهيئة المصرية للكتاب، اسكندرية ،مصر، ط 4 1998 ص 325.

[3] سعيد يقطين،انفتاح النص الروائي (النص و السياق) ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ط 2 2001، ص 32 ،33.

1_ التفاعل النصي الخاص:

يبدو حين يقيم نص علاقة مع نص آخر محدد، تبرز هذه العلاقة بينهما على صعيد الجنس والنوع والنمط معا.

2_ التفاعل النص العام:

و يبرز فيما يقيمه نص ما من علاقات مع نصوص عديدة مع ما بينها من اختلاف على صعيد الجنس و النوع و النمط. إن بين الصنفين في خصوصيتهما وعموميتها تداخلات وتحقيقات عدة وأساس التميز هو جهة النظر التي تعاين من خلالها صنف التفاعل النصي و مرماه في الدراسة وتحليل"[1]

نجد "سعيد يقطين" قد استخدم في دراساته النقدية التفاعل النصي مقابل لتناص لكشف علاقة النصوص بعضها ببعض من خلال التعالق والتداخل والتفاعل القائم بين هذه البنيات تحت ما يعرف بالتفاعل النصّي.

إن التناص لقي رواجا كبيرا في النقد العربي وعليه تعددت ماهية التناص بين النقاد والدارسين فعند "محمد مفتاح" تعالق النصوص مقابل للتناص، أما بالنسبة "لعبد الله محمد الغذامي" فيطلق عليه النصوصية تداخل النصوص النصوص المتداخلة، أما "سعيد يقطين" فاستخدم التفاعل النصي بدل التناص هنا يمكن القول :رغم تعدد التسميات إلا إن الأصل هو التناص.

2_2 التناص في النقد الغربي:

تعددت مدلولات مصطلح وكثرت في النقد العربي كذلك الشيء نفسه في النقد الغربي الذي احتضنه في دراسات عديدة كل باحث أدلى بدلوه ليعطي للمصطلح حلة جديدة من بين هؤلاء الباحثين:

[1] سعيد يقطين، الرواية والتراث السردي (من أجل وعي جديد بالتراث) ، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط 1 1992، ص 17 ،18.

للباحثة البلغارية "جوليا كريستفيا" يرجع الفضل لها في ظهور مصطلح التناص فنجدها تعرف التناص (بأنه جملة من معارف التي تجعل من الممكن للنصوص أن تكون ذات معنى وما أن نفكر في معنى النص اعتباره معتمدا على النصوص التى استوعبها وتمثلها فإننا نستبدل مفهوم تفاعل الذوات بمفهوم التناص)[1] وتحدد التناص أيضا بـ: (الحضور الفعلي لنص في الفعلي لنص في آخر ويتم عبر آليات محددة وهي الإقتباس eitation،والسرقة plagiat والإيحاد allusion).[2]

ولقد أجهرت الباحثة "جوليا" بمصطلح التناص" (لأول مرة في النظرية النقدية الحديثة من خلال أبحاثها التى كتبتها مابين سنة (1966 _ 1997 م) وأصدرتها في مجلتي تال كيل **telquel** و كريتك **crilique** وأعادت نشرها في كتبها سيميوتيك **sémiatique** ونص الرواية **le text du roman**، وفي مقدمة كتاب "دستوفسكي" "لباختين"، و يندرج هذا المفهوم عند الباحثة ضمن الإنتاج النصية، بمعنى أنه مرتبط عندها بالنص المولد الذي يهتم بالكيفية التي يتم بها توالد النصوص وخلقها وفق عمل متين على بناء سابق أو مسبق).[3]

وتركز "كريستيفيا" في بحوثها على إن (التناص يندرج في إشكالية الانتاجية النصية التى تتبلور بعد الاستهلاك لتبدي عمل النص، وهو "النص المنتج" بمعنى أن النص يتشكل

[1] سعيد سلام ،التناص التراثي (الرواية الجزئرية أنموذجا) ،عالم الكتب الحديث ،اربد ،الاردن ،ط 1، 2010 ،ص 119.

[2] عصام حفظ الله واصل ،التناص التراثي في الشعر العربي المعاصر ،دار غيداء للنشر والتوزيع ،عمان ،الأردن د ط 2010 ،ص 17.

[3] عبد القادر بقشي ،التناص في الخطاب النقدي والبلاغي دراسة تطبيقية ونظرية ،افريقيا الشرق ،دار البيضاء المغرب، د ط، 2007 ،ص 18 ، 19.

من خلال عملية إنتاج من نصوص مختلفة فهي تنظر إلى التناص على أنه جزء من سياق اشاري متكامل ينتظم لغة النص الأدبي).[1]

ومن هنا يمكن القول: إن التناص عند "جوليا كريستيفيا" هو تفاعل الذوات أي انتاج نص داخل نص آخر وعليه يتشكل لنا نص منتج.

أما "رولان بات Roland Barthes "فقد أسهم هو كذلك في توسيع دائرة التناص (وكانت له جهود بارزة في ذلك، ولا يقل دوره أهمية عن دور الذي قامت به "جوليا كريستيفا" فقد أثرى هذا المصطلح في دراسات عديدة، ولا سيما في كتابه (لذّة النّص) ولقد طور بارت مصطلح التناص وعمقه وتكثف البحث فيه لكنه زاده غموضا لانفتاحه على آفاق وحقول ومصادر لا نهائية ولا محدودة ترفد النص الأدبي)[2]

نجد "رولان بارت" ينطلق من منجزات "كريستيفيا" ليوسعها ويشرحها فيبين أن التنّاص يكون في كل نص مهما كان جنسه: (تبادل النصوص أشلاء نصوص دارت أو تدور في فلك نص يعتبر مركزا وفي النهاية تتحد معه، فكل نص ليس إلا نسيجا جديدا من استشهادات سابقة) يقول: (كل نص يتناص _ أي يتفاعل _ مع غيره من نصوص و ينتمي إلى مجال تناصي لا يجب الخلط بينه وبين الأصول أو المصادر التي ينحدر منها هذا النص فالأصول التي ينبثق منها النص ما مجهولة ولا يمكن استعادتها واقتباسات النص من هذي القراءات جميعا اقتباسات لا يمكن تحديدها أو إرجاعها إلى أصولها أو تأطيرها في علامات تنصيص)[3]

[1] نبيل حسنين ،تناص دراسة تطبيقية في شعر شعراء النقائض جرير و الفرزدق والاخطل ،كنوز المعرفة ،عمان الأردن ،ط 1 ،2009،ص 35.

[2] نبيل علي حسنيين ،التناص دراسة تطبيقية في شعر شعراء النقائض الجرير و الفرزدق و الأخطل ،ص 39،40.

[3] ابراهيم عبد الفتاح رمضان، التناص في الثقافة العربية المعاصرة ،دراسة تأصيلة في ببلوجرافيا المصطلح، مجلة الحجاز العالمية المحكمة للدراسات اسلامية و العربية المعاصرة ، العدد خامس ،نوفمبر 2013 ،ص 155 ،173.

ونجده يقول: هذي هي خاصية "النص المتداخل: إنها استحالة العيش خارج النص اللامتناهي ولا فرق في ذلك: (أن يكون هذا النص هو بروست أو الجريدة اليومية أو شاشة الرائي فالكاتب يبدع المعنى و المعنى يبدع الحياة)[1]

هنا "نجد رولان بارت" عزل النص عن بيئته التى يولد في رحمها وانه يظفر بالنصوص القديمة دون المراعاة جنسها أو نوعها ،غير ان هدفه تحقق اقترانا وتزاوجا تاما بينه وبين النصوص الأخرى يكون بعد ذلك نصا قائما بذاته.

نجده يرى أن (النص مصنوع من كتابات مضاعفة وهو نتيجة لثقافات متعددة، تدخل كلها بعضها مع بعض في حوار ومحاكاة ساخرة وتعارض)[2]

إلى جانب "كريستيفا" و"رولان بارت" نجد أيضا "جيرار جنيت" الذي كانت له دراسات وجهودا بارزة في تطوير مفهوم التناص.

ينظر"جيرار جنيت" إلى النص (بأنه ليس هو موضوع الشعرية فقط بل جامع النص أي مجموع الخصائص العامة أو المتعاليات التى ينتمي إليها كل نص على حدة).[3]

وتعتبر كتابات "جيرار جنيت" الأدبية (من أعمق التأصيلات النظرية التى عرفتها النظرية النقدية الحديثة ،فقد حاول من خلال كتابه "أطراس" Palimpsestes رصد جميع العلاقات النصية التى بإمكان النصوص أن تأخذها في حوار بعضها مع بعض قام "جيرار جنيت" بمراجعة شاملة لمفهوم التناص اعتمادا على تصوير جديد للشعرية، لم تعد معه مرتبطة بجامع النص أي التمييز بين أصناف الخطابات و الأنواع الادبية المختلفة بل اضحت متصلة بإطار أعم و أشمل هو"المتعاليات النصية).[4]

---

[1] رولان بارت ،لذة النص ،ترجمة منذر عياشي ،مركز النماء الحضاري ،الاسكندرية،مصر ،ط1 ،1994 ،ص 70.

[2] رولان بارت،نقد و الحقيقة ،ترجمة منذر عياشي ،مركز الانماء الحضاري ،الاسكندرية،مصر ،ط1 ،1994،ص 24.

[3] جيرار جنيت ،مدخل إلي جامع النص ،ت :عبد الرحمن أيوب ،دار توبقال ،بغداد ،العراق ،د ط ،د ت ،ص 5.

[4] عبد القادر بقشي ،التناص في الخطاب النقدي و البلاغي دراسة نظرية تطبيقية،افريقيا الشرق،المغرب،د ط، 2007 ص،21.

ويذهب إلى تعريف التناص من خلال (التعالي النصي أي كل ما يجعل النص في علاقة خفية أو جلية مع غيره من نصوص، ويقصد بالتعالي النصي علاقة تداخل التى تقرن النص بمختلف أنماط الخطاب التي ينتمي النص إليها).[1]

وبناء على ذلك قسم المتعاليات النصية الى خمسة أنواع من العلاقات وهي كالآتي:

1_ التناص :

صاغته في البداية "جوليا كريستفيا" ثم أعاد "جنيت" صياغته فاعتبره بمثابة حضور متزامن بين نصين أو عدة نصوص أو هو الحضور الفعلي لنص آخر، بواسطة السرقة والاستشهاد ثم التلميح.

2_ المناص :

ويشمل جميع المكونات التى تهم عتبات النص نحو: العنوان و العنوان الفرعي والعنوان الداخلي و الديباجات والحواشي والرسوم ثم نوع الغلاف إضافة الى كل العمليات التي تتم قبل انتاج النص من مسودات وتصاميم وغيرهما.

3_ المتناص :

ويتعلق بكل بساطة بعلاقة التفسير والتعليق التى تربط نصا بآخر يتحدث عنه دون الاستشهاد به أو استدعائه.

4_ معمارية النص:

أي النوع الذي ينتمي إليه نص ما، لأن تمييز الأنواع الأدبية من شأنه أن يوجه أفق انتظار القارئ أثناء القراءة.

5_ التعالق النصي:

وهو النوع الذي خصه "جنيت" (بالدراسة في كتاب " أطراس" ويقصد به كل علاقة

[1] عبد القادر بقشي ،التناص في الخطاب النقدي و البلاغي دراسة نظرية تطبيقية ،ص 90، 91.

تجمع نصا (ب) Hypertexte بنص سابق (أ) Hypo texte وقد وضع له جنيت مفهوما عاما أسماه بالأدب من الدرجة الثانية)[1]

ولعل التمييز بين هذه الأنماط التى جاءت تحت عباءة ما يعرف بالتعالي النصي و ازاحة الغموض الذي يلتف حولها و كشف العلاقة و التداخل بينهم هو ما ساعد جيرار جنيت في توسيع مفهوم تناص وإعطاءه تسمية جديدة.

وفي الأخير بعد انتهاء مطاف رحلتنا في تتبع مراحل ولادة التناص توقفت محطتنا في الساحة النقدية الغربية التى اعتنت بمصطلح التناص ومن بين هؤلاء النقاد الذين تطرقنا اليهم "جوليا كريستيفا" التى كان لها الفضل في ظهور مصطلح التناص و قد جاءت بصياغة جديدة وهي التفاعل النصي أما "رولان بارت" فأدرجه تحت اسم النص المتداخل و"جيرار جينت" أبى إلا أن يسمه بالتعالي النصي.

3_ آليات و مستويات التناص :

3_1 آليـــات التناص :

بما أن التناص عد ظاهرة مهمة في جل الخطابات الأدبية نجد أن هناك من يلجأ اليها متعمدا لسد ثغرة تعثر بها لعدم ايصال الفكرة المبتغاة ويقول محمد مفتاح في ذلك: (فالتناص بمثابة الهواء والماء والزمان والمكان للإنسان فلا حياة له بدونهما ولا عيشة له خارجهما)[2] وعليه ذهب إلي تحديد آليات التناص وأشار إليها في كتابه " تحليل الخطاب الشعري وقسمها إلي قسمين :

3_1_1 التمطـــيط:

مفهوم التمطيط من الناحية اللغوية، وقد ورد في "لسان العرب"ابن منظور"(مَطط :ومَطَّ

[1] عبد القادر بقشي ،التناص في الخطاب النقدي و البلاغي دراسة نظرية تطبيقية .،ص 22.

[2] محمد مفتاح ،تحليل الخطاب الشعري إستراتيجية التناص ،ص 125.

الشيء يمُطُّهُ مَطًّا: مدَّهُ)[1] أي يلجأ الكاتب الى تمديد أفكاره ولإطالتها.

ولقد اعتبره محمد مفتاح أحد آليات التناص ويقع هذا الأخير وفق أشكال متعددة وهي كالآتي:

_ الأناكرام:

("الجناس بالقلب و بالتصحيف" الباراكرام (الكلمة والموجز) فالقلب مثل (قول _ لوق وعسل_ لسع) و التصحيف مثل (نخل_ نحل وعثرة_ عترة) أما كلمة المحور نجدها تعتمد على الأصوات المتشابهة على طول النص ومكونة تراكم يثير انتباه القارئ)[2]

_ الشرح:

له أهمية كبيرة في الخطاب (إنه أساس كل خطاب وخصوصا الشعر فالشاعر قد يلجأ مثلا البيت الأول محورا ثم يبني عليه المقطوعة أو قصيدة وقد يشعر قولا معروفا ليجعله في الأول أو في الوسط أو في الاخير ثم يمططه في صيغ مختلفة)[3]

_ الاستعارة:

و هي بأنواعها صورة من الصور الفنية التى لها دور كبير في بناء الخطابات الأدبية (ذلك لما تبثه في الجمادات من حياة وتشخيص ولاسيما في الخطاب الشعري)[4]

فهي تسهم بشكل كبير في تقوية المعنى، كما أنها تضفي على الخطاب الشعري جمالا و رونقا ذلك(لأن للاستعارة فضل كبير ودلالة عميقة لمعالجة البعد التناصي باعتبار أن الاستعارة صورة واضحة بتفرعاتها المتنوعة والمختلفة.) [5]

---

[1] ابن منظور،لسان الغرب ،مادة مطط ،مجلد 6 ،ص 4224.

[2] محمد مفتاح ،تحليل الخطاب الشعري إستراتيجية التناص ،ص 125.

[3] المرجع نفسه،ص 126.

[4] محمد مفتاح ،تحليل الخطاب الشعري إستراتيجية التناص ،ص 126.

[5] رفيقة سماحي ،التناص في رواية خرفان المولى لـ :ياسمينة خضراء ،دروب ثقافية لتوزيع والنشر،عمان ،الأردن ،د ط 2012،ص 53.

_ التكرار:

أما عن التكرار (فيكون على مستوى الأصوات و الكلمات والصيغ متجليا في التراكم أو في التباين.)[1] فيؤدي بدوره إلي التكرار على مستوى الأفكار والكلمات والصيغ وعلى مستوى اللغوي لهذا (من صعب عدم استحسان أهمية التكرار في كل مستويات اللّغة وداخل اللغة الأدبية)[2] لذلك له دور في تمطيط الخطاب الشعري.

_ الشكل الدرامي:

نجد هذا الشكل من التمطيط يجعل النص الشعري في حركة مستمرة و هو (يولد توترات عديدة بين كل عناصر بنية القصيدة لهذا نجده يؤدي بطبيعة الحال إلي نمو القصيدة فضائيا و زمنيا)[3] أي تمطيط على مستوى المكان و الزمان اللذان بدورهما يسهـمان في بناء الخطاب الشعري.

_ أيقونة الكتابة:

تمثلت في جمع كل آليات التمطيط التى سبق ذكرها،ذلك لتوضح (العلاقة المتشابهة مع الواقع الخارجي متجاوزة في ذلك الكلمات المتشابهة أو متـــــباعدة وارتباط المقولات النحوية ببعضها اتساع فضاءها و دلالاتها في الخطاب الشعري اعتبارا لمفهوم الأيقونة)[4] كل هاته الآليات التى جاءت تحت آلية التمطيط نجدها تسهم في تمطيط النص الشعري من حيث المعنى والصيغ التركيبية، من خلال تكرار الأفكار والمعاني والمستوى اللغوي وأيضا إلي تمطيط النص الشعري من خلال الزمكان ومن حيث كشف العلاقات التى تربط الخطاب الشعري بالعالم الخارجي لأن الكاتب بطبيعة الحال هو ابن بيئته.

---

[1] محمد مفتاح ،تحليل الخطاب الشعري إستراتيجية التناص ،ص 126.

[2] كاتي وايلز ،معجم الأسلوبيات ،ترجمة :خالد الأشهب ،المنظمة العربية للترجمة ،بيروت ،لبنان ،ط 1 ،2014،ص 585.

[3] محمد مفتاح ،تحليل الخطاب الشعري إستراتيجية التناص ،ص 127.

[4] المرجع نفسه، ص 127.

3_1_2 الإيـــجاز:

جاء في لسان العرب (وجزَ الكلام وجازَةً و وجزاً و أوجزّ قلَّ في بلاغة وأوجَزَهُ:اختصَرهُ)[1] أي إن الايجاز هو لجوء الكاتب الى اختصار كلامه في كتابة أفكاره، و اعتبر "محمد مفتاح" الايجاز آلية من آليات التناص ولم تقتصر على التمطيط فقط فالإيجاز مايلي:

_ الاعتماد على المشهور منها والمأثور ليشبه به حال معهودة.

_ استقصاء أجزاء الخبر المحكي و الموالاتها على حد ما انتظمت عليه حال وقوعها.[2]

هنا يمكن القول: إن الايجاز يعتمد أساسا على الاحالة التاريخية في بناء الخطاب الشعري، لذا نجد "القدامى وظفوها في أشعارهم .

وفي الأخير نستنتج الان آليات التناص التى حددها محمد مفتاح والتي تمثلت في التمطيط و الايجاز يسهمان إسهاما كبيرا في بناء الخطاب الشعري واستدعاء النصوص الغائبة، وقد جعلت أيضا من ظاهرة التناص لها آليات يعتمد عليها الشاعر في نسج تجربته الشعرية ،ومن خلال ما نلاحظه أصبحت هاته الأخيرة تخدم الكاتب في بناء هيكل خطابه بناء محكما.

3_2 مستويات التناص:

لقد لاحظ الباحثون أن ظاهرة التناص في الشعر المعاصر تقع وفق مستويات لأن العمل الفني لا يتخلق ابتداء من رؤية الفنان وإنما من أعمال أخرى تسمح بإدراك أفضل لظاهرة التناص التى تعتمد في الواقع على وجود نظم إشارية مستقلة لكنها تحمل في طياتها عمليات إعادة بناء نماذج متضمنة بشكل أوبآخر مهما كانت التحولات التى تجري

[1] محمد مفتاح ،تحليل الخطاب إستراتيجة التناص، ص 127.

[2] المرجع نفسه،ص 127،128.

عليها)[1] ومن الباحثين الذين عملوا على تحديد هاته المستويات نجد "جوليا كريستفيا ومحمد بنيس"و كلاهما حصرها في ثلاثة مستويات وهي التالي:

1_2_3 مستويات التناص عند جوليا كريستفيا:

حددت هاته المستويات في "النفي الكلي و النفي المتوازي و النفي الجزئي"

_ النفي الكلي: وفي هذا المستوى يكون "المقطع الدخيل منفيا كلية ومعنى مقلوبا" مثال على ذلك في قول"لباسكال Pascal ":(وأنا أكتب خواطري تنفلت مني أحيانا ،إلا أن هذا يذكرني بضعفي الذي أسهو عنه طول الوقت ،والشيء الذي يلقنني درسا بالقدر الذي يلقنني إياه ضعفي المنسي ،ذلك أنني لا أتوق سوى إلى معرفة عدّمي).وهو ما يصبح عند "لوتريامون Lautréamont" (حين أكتب خواطري فإنها لا تنفلت من هذا الفعل يذكرني بقوتي التى أسهو عنها طول الوقت فأنا أتعلم بقدر ما يتيحه لي فكري المقيد ،ولا أتوق إلى معرفة تناقض روحي مع العدم)[2] من خلال المثال هنا يمكن القول: إن الكاتب يقوم بالنفي الكلي للنص الأصلي على المستوى الدلالي ثم يعيد صياغته في قالب دلالي جديد.

_ النفي المتوازي: أما هذا المستوى فجاء عكس المستوى الأول (حيث يظل المعنى المنطقي للمقطعين هو نفسه "مثلا هذا المقطع "للاروشفوكو Larshofco"(إنه دليل على وهن الصداقة عدم الانتباه لانطفاء صداقة أصدقائنا) والحال أنه يصبح عند " لوتريامون" "إنه دليل على الصداقة عدم التنامي صداقة أصدقائنا")[3] حيث يقوم المبدع باقتباس النص الأصلي وتضمينه إلى نصه الجديد مع الحفاظ على البنية الأصلية للنص الأصلي هذا ما لحظناه من خلال القولين حيث لا نكاد نفرق بينهما.

---

[1] مصطفى السعداني ، التناص الشعري قراءة أخرى لقضية السرقات، منشأة المعارف ،الإسكندرية ،مصر ،د ط، 1991 ص77.

[2] جوليا كريستفيا، علم النص، ترجمة :فريد الزاهري، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب ،ط 1991،1، ص 78.

[3] المرجع نفسه ،ص 79.

ـ **النفي الجزئي** : هنا يقوم المبدع بنفي جزء من النص الأصلي مع الحفاظ على جزء منه و يدمجه في نصه الجديد (حيث يكون جزء واحد فقط من النص المرجعي منفيا"مثلا: مقطع "باسكال"(نحن نضيع حياتنا فقط لو تتحدث عن ذلك) ويقول "لوتريامون": (نحن نضيع حياتنا ببهجة المهم ألاّ نتحدث عن ذلك فقط)[1]

أي هنا "لوتريامون" أخذ جزء من بنية النص أصلي الذي يعود إلي "باسكال" أدمجه في نصه منفي بذلك جزءا منه.

3_2_2 مستويات التناص عند محمد بنيس:

اعتمد في تحديدها على قدرة المبدع في تعامله مع النصوص الغائبة وحددها في ثلاثة مستويات "التناص الإجتراري، التناص الامتصاصي التناص الحواري".

ـ **التناص الإجتراري:** هنا يكون التناص مبنيا على النص أصلي دون إحداث تغيرات واضحة. حيث يكاد يكون هنا نقلا حرفيا (وفيه يعيد الشاعر كتابة النص الغائب بشكل نمطي جامد لا حياة فيه، وقد ساد هذا النوع التناصي في عصور الانحطاط حيـــــث تعامل الشعراء في تلك الفترة مع النصوص الغائبة بوعي سكوني خالي من التوهج وروح الإبداع)[2] وبذلك ساد (تمجيد بعض المظاهر الشكلية الخارجية، في انفصالها عن البنية العامة للنص كحركة و سيرورة و كانت النتيجة أن أصبح النص الغائب نموذجا جامدا تضمحل حيويته مع كل إعادة كتابه له بوعي سكوني)[3]

ـ **التناص الامتصاصي:** من خلال هذا المستوى يقوم المبدع بامتصاص البنية النص الاصلي وإعادة صياغته من خلال الخليفة التى يكتسبها لحقيقة النص المستدعي ليعيد إياه حسب تجربته الفنية فهو (مرحلة أعلى من قراءة النص الغائب، والقانون الذي ينطلق

[1] جوليا كريستفيا، علم النص، ص 79.

[2] جمال مباركي ،التناص وجمالياته في الشعر الجزائري ،دار هومة ،الجزائر ،د ط ،2003 ،ص 157.

[3] محمد بنيس، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت،لبنان ،ط 2 ،1985،ص 253.

أساسا من الإقرار بأهمية هذا النص وقداسته، فيتعامل وإياه كحركة وتحول لا ينفيان الأصل بل يسهمان في استمراره كجوهر قابل للتجدد ومعنى هذا أن الامتصاص لا يجمد النص الغائب ولا ينقده فإنه يعيد صوغه)[1] أي استدعاء النص الغائب انطلاقا من الشكل والمضمون.

ـ التـــناص الحـــواري :يقوم المبدع في هذا المستوى بتحطيم النص الغائب ويخضعه تحت سلطة تجربته الفنية ،لأن هذا المستوى (هو أعلى مرحلة من قراءة النص الغائب إذ يعتمد النقد المؤسس على أرضية صـلبة، تحطم مظاهر الاستلاب، مـــهما كان نوعـه وشكله وحجمه)[2] حيث يقوم المبدع بقلب النص الغائب والتخلي عن شكله ومضمونه السابق ويصوغه في قالب جديد متخطيا البنية السطحية له.

[1] محمد بنيس ،ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب ،ص 253.

[2] المرجع نفسه ،ص 253.

الفصـــــــــــــل الثـــــاني

التنـــــــاص الديني

1 _ تناص مع القرآن الكـــــــــــريم

2 _ تناص مع الحـــــــيدث الشريف

3 _ التناص مع الشخـصيات الدينية

تعدد حضور التناص و تنوع في شعر يوسف القرضاوي، ذلك لسّعة مخزونه الفكري والثقافي سواء من النّواحي الدينّية أو الأدبية أو التاريخية أو غيرها، وبما أن ظاهرة التناص تعمل على كشف علاقات التداخل بين النصوص(لأن النص ليس ذاتا مستقلة أو مادة موحدة ولكنه سلسلة من العلاقات مع النصوص الأخرى)[1] لذلك نادرا ما توجد نصوص خالية من ظاهرة التناص ولا يكاد يخلو نص معاصر منها لأن الشاعر يجعلها اللبنة الأولى التي يبني عليها تجربته الفنية، وقد يلجأ الشاعر للأخذ من هاته المصادر متعمدا ذلك حتى يلفت انتباه القارئ ويجعل نصه أكثر مقروئية و طبعا ذلك حسب قدرته على توظيف تلك النصوص يخلق جمالية فيها، وتقديم دلالات مختلفة لتوضح المعنى وإبراز الفكرة، وهناك من تتولد عنده عن طريق الصدفة ذلك من خلال القراءة والمطالعة ويوسف القرضاوي من هؤلاء الشعراء الذين تجلت ظاهرة التناص في شعرهم وبرزت بصورة جلية، ومن أبرز النصوص التى تحضر في شعره نجد النص الديني بأنواعه والأدبي، وهذا ما نسعى لتناوله في هذه المقاربة:

1_ التناص مع القرآن الكريم:

القرآن الكريم هو كلام الله عز وجل المنّزه عن الخطأ، آخر الكتب السمّاوية نزّل على خاتم الأنبياء والرسل محمد صلى الله عليه وسلم وتميز القرآن بفصاحته و قوة بلاغته، و هو الكلام الذي يهزّ القلوب ويقرع الأسماع و ترتجف له الأبدان لما له من تأثير على قارئه أو سامعه تحدى الله به سائر البشر أن ينسجوا كلاما على منواله، ولقد عد القرآن الكريم أبرز المصادر التى نهل الشعراء منها وجدوا فيه المعين الذي لا ينضب. ومن خلال جولتنا بين طيّات ديوان "نفحات و لفحات" لاحظنا أن الشاعر تأثر بالقرآن الكريم، و تأثره به أضحى واضحا لا تشوبه شائبة فأبّى إلا أن ينّهل منه، وقد جعله سندا و ركيزة في بناء قصائده وذلك لثرائه المعنوي والمعرفي واللّفظي، الأمر الذي جعله

[1] عبد الله الغذامي ،الخطيئة و التفكير،الهيئة المصرية ،مصر ،ط 4 ،1998،ص 325.

يستدعي القرآن الكريم في شعره و هذا الحضور الديني جعل قصائده في حركة دائمة ومستمرة تعبيرا عن مكبوتاته ومشاعره التى لم ترضخ للصمت وخرجت لرحب أوسع مرتدية حلة التناص.

ومن خلال دراستنا لاحظنا أن التناص القرآني في ديوان "يوسف القرضاوي" لم يأت بصورة واضحة و لم يبالغ الشاعر في توظيفه، و في مقابل ذلك نجده قد أبدع في إدراج هذه الصور التناصية دون أن يشعر المتلقى أو القارئ بذلك، ومن الإستحضارات القرآنية نجد في قوله:

نحن النجُوم تزينُ الكون طَلْعـــــــــَتَنا

ويهتدي بِسنَانَا كل حـــــــــــــــــيْـرَان

نحن النُجُوم فَلا تَعْـــــــــجَبْ إذا انطلقت

مِنَّا رُجُومٌ أَخـــــــــــــــــافَتْ كُل شَيطان[1]

هنا نجد تناص مع قوله عزّ و جل :

﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَ جَعَلْنَٰهَا لِّلشَّيَٰطِينِ رُجُومًا وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝ ﴾[2]

إن القارئ و هو يطلع على هذه الأبيات يستحضر الآية الكريمة من الوهلة الأولى، و في هذه الصورة التناصية صورة المعتقلين الذين سجنوا داخل السجن بعدما كانوا أحرارا يمرحون في الأفق، يفتحون الطريق لكل من ضاقت به السبل، ولا يرضون للظلم و المهانة، ولا يرضخون للعدو تهابهم كل الطغاة والجبّابرة، شبههم بالنّجوم التى تزين لنّا الكون ،التى تتحول إلى الشهب تحرق الشياطين التى تسترق السمع، هو كذلك حال هؤلاء

[1] يوسف القرضاوي ،نفحات ولفحات ، دار الهدى ،عين ميلة الجزائر ،د ط ،د ت ،ص 33.

[2] سورة الملك، الآية 5.

المعتقلين الذين ينطلقون من كل صوب وحدب لمواجهة العدو الغاشم، لذلك لجأ الشاعر لتوظيف هاته الآية ليوسع من فضاء القصيدة و يعطيها دلالة جديدة مستمدة من النص القرآني، غايته من توظيف النص الغائب هذا ليبين قوة الثوار التى لا تقهر لكي يهتدوا بهم أبناء وطنهم، المشهد هنا يصور لنا الإيحاءات التى تحمل دلالات أخلاق هؤلاء المعتقلين وما كانوا يتصفون به من صدق وطهارة النفوس.

وأيضا نجد استحضار نص غائب في قوله :

يا رب كم مِنْ يوُسِفٍ فينا نقـــــــــــــــيِّ يدٍ

دَانُوهُ بالسِجنِ والقاضـــــــــــي هو الجانـي[1]

هنا تناص مع قوله عز وجل:

﴿قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ٣٢﴾[2]

يجسد لنا الشاعر في قوله يجسد لنا صورة الاضطهاد وبشاعة القهر وسوء المعاملة التى كان المعتقلون يعانون منها، هؤلاء الأبرياء الذين وقوعوا في فخ العدو، راحو ضحية الطغاة الجبابرة الذين لا رحمة في قلوبهم ولا شفقة حيث عاش هؤلاء الأبرياء المعاناة نفسها التى عاشها سيدنا يوسف عليه السلام الذي غدر به إخوته و ألبسوا التهمة للذئاب استدعى الشاعر النص الغائب ليجعل منه مصدر قوة ذا تأثير كبيرا في نفس المتلقى ليجعله يدرك قيمة هؤلاء الذين ضحوا بحريتهم من أجل وطنهم ،فوجد في هذه الآية ما يجسد تجربته الشعرية، إن دل على شيء فإنه يدل على مدى تأثر الشاعر بقصة يوسف عليه السلام، فيوسف غدر به لأن أبوه كان يحبه أكثر من إخوته، أما هؤلاء الثوار غدر

[1] يوسف القرضاوي ،نفحات ولفحات ،ص 33.

[2] سورة يوسف، الآية 32.

بهم بسبب دفاعهم عن وطنهم ومن الدلالات التى جاءت بها النص الشعري موقف الشاعر من الخيانة و الخبث التى عاشها سيدنا يوسف عليه السلام تتفق مع أهل مصر.

ونلمس أيضا صورة تناصية في قوله:

فَعِشْ يَا كَوكَباً يَا شِعْرُ يَهْدِى إلى العُـلاَ

وَيَنْقَضُّ رُجْمًا للشـــــــــــــيَاطِيْنَ كالشُهب[1]

تناص مع قوله عز وجل :

﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝١٠﴾[2]

ختم قصيدته "أنا والشعر" بهذا البيت ليحثنا عن غايته و هدفه من كتابته للشعر ،وهنا يريد أن يخبرنا أن شعره ليس مجرد كلمات نظمت لتذهب هباء، أو مجرد تعبير عن مكبوتات للترفيه عن نفسه، وإنما جاءت تحمل في طياتها صرخات يدعو فيها إلى الامتثال للحق ونصّرة المظلومين والمضطهدين من أبناء الأمة العربية ،فشبه شعره بالشهاب الثاقب الذي يحرق كل شيطان مارد،ذلك هو حال شعره جعله كالشهاب يرجم به الأعداء، وليصل صدى كلماته إلى أبعد الحدود، لعلها تستقطبها الآذان الصاغية لتحيي ضمير الميت في الشعوب العربية نجده امتص المعنى من النص القرآني ليعطي لقصيدته بعدا آخرا ليوسع به فضاء قصيدته ليتمكن من الوصول لهدفه وغايته من منظم

[1] يوسف القرضاوي، نفحات ولفحات، ص71.

[2] سورة الصافات، الآية 6_10.

القصائد التى تحاكي العالم العربي خاصة وطنه مص، و تشير دلالات النص إلى صدق كلامه وحرصه على انتقاء الألفاظ و براعته في توظيفها.

ويقع بصرنا مرة أخرى على صورة تناصية في قوله:

جلاَدُ ثَــورتِهم وسَوطُ عَذَابِهَ سَمــوْهُ زُوراً قَائِدِ الســـــجون

وجهٌ عبُوسٌ قَمـطَرِيْر حَاقِدٍ مُسْــتَكْبِرُ القَسَمَات و العَرَنْيَنَ[1]

هنا وقع تناص مع قوله تعالى :

﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠﴾ [2]

يصف لنا جلاد الثورة "حمزة البسيوني" صاحب الوجه العبوس الذي لا دين له ولا خلق ،تعلو على وجهه الوقاحة والكراهية كان يعذب ويجلد الثوار بلا رحمة ولا شفقة، هؤلاء المعتقلين كانوا يخشون وجهه العبوس المقبض بين العينين هو حاله كمثل الكفار يوم القيامة يواجهون الله عز وجل بوجوه عبوسة والعرق يتصبب في يوم عصيب لينالوا جزاءهم لما كانوا يفعلونه، امتص الشاعر ألفاظ الآية الكريمة ليصور لنا الحالة التى يستقبل بها جلاد الثورة المعتقلين وسمات الكفار بادية على وجهه، دلالات هذا تناص وكأن الشاعر جاء به ليصور لنا أهوال القيامة، لأن الآية في حد ذاتها هي وصف لليوم القيامة، هذا ما جعل الشاعر يستحضرها لينسج عليها بيته الشعري مما نتج عنها قوة الألفاظ ومعانيها.

و يقع نظرنا مجددا على صورة تناصية في قوله:

وَعزَاؤُنَا أَنَ الــنّبِي ـ فديْــتُهُ بِأَبِي و أُمِي ـ كمْ رُمِــيَ بِطُعون

مِنْ ســاحِرٍ حينًا ،لَــبَاغٍ مُفْتَرٍ أَوْ كَاهِنْ ،أَو شَاعِر مَجــــنُون

[1] يوسف القرضاوي نفحات ولفحات ،ص 46،47.

[2] سورة الإنسان، الآية 10.

قَالُــوا كَذَاباً :دَعْوةٌ رجعـــــيةٌ مَـــعْزُولَةٌ عَنْ قَرْنِهَا العِشْــرِينِ[1]

وقع هنا تناص مع قوله تعالى:

﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا أَوۡ سَاحِرٌ مَّجۡنُونٌ ﴿٥٢﴾﴾[2]

هنا أراد أن يخبرننا بأن التاريخ يعيد نفسه بعد عشرين قرنا أين نحن من هذا ليقولوا عن الرسول صلى الله عليه وسلم ما لم يقله، يرمونه بالكاذب المفتري ،كذبوا دعوته ،و وصفوه بالشاعر المجنون، يحث هنا المسلمين على تكذيب هذه الأقاويل ،ويدعوهم الى نصرة الرسول صلى الله عليه وسلم، كما نصره أصحابه و أتباعه أيام كان كفار مكة يتبلونه والغاية من استحضار هذا النص هو نفس الهدف الذي تحث عليه الآية الكريمة،أن الرسول جاءنا بلسان مبين يحمل الرسالة لكافة الناس ليبلغهم أن الرب واحد ولا دين إلا الدين الإسلامي، وما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم هو كلام الله عز وجل وليس بشعر ولا كلام مفتر، و من دلالات هذا الاستحضار تكشف لنا معاناة الرسول صلى الله عليه وسلم التى عانى منها أثناء تبليغ رسالته، رغم طهارته وتقواه إلا أنه لم يسلم من كفار.

وأيضا في قوله:

كَمْ أَقْرَأُ الآيَات لَو نَزَلَتْ عـــــلى شَمِّ الجِبَال رَأَيْتَها تَتَصَـــــــــــــدَعُ

مَا لـي أُرِدِّدُ وَعْـــــدَهَا و وَعِيْدَهَا مَا رَقَّ قَلْبـــــــي أو جَرى لِي مدْمَعُ[3]

تناص مع قوله عزّ وجلّ :

﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ

[1] يوسف القرضاوي ،نفحات ولفحات ،ص 57.

[2] سورة الذاريات ،الآية 52.

[3] يوسف القرضاوي ،نفحات ولفحات ،ص 73.

ٱللَّهِ ۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾[1]

من خلال هاته الأبيات يوضح الشاعر مكانة القرآن الكريم، فيتساءل الشاعر في تعجب و دهشة كيف لا تخشع له القلوب و تتصدع ،وهو إن نزل على جبال و ما أدراك الجبال من صلابتها و صمودها لتصدعت وكيف نحن بني البشر لا تدمع لنا العيون ولا ترق له القلوب و تخشع من كلام الله عز وجل، لقد استحضر الشاعر النص القرآني بدلالاته وإيحاءات لكنه عمد الى تغيير في بناء اللفظي للآية لكي يلائم بناء تجربته الشعرية وتشير دلالات النص الى فضل القرآن ومكانته و قوة كلام الله عز وجل وما تحمل من معاني .

ونجد أيضا استدعاء لنص غائب في قوله:

أَيْنَ الغَفُور ؟وأَيْنَ رَحمـتُهُ التِي وَسِعَتْ جَمـــِيْعَ الخَلْقِ ؟أَيْنَ المُوسَع؟

هذَا أَوان العَفْو،فاعْـفُ تَفضُّلا يَا مَنْ لَهُ تعـــــنو الوجُوه و تَخشَع[2]

و جاء هذا الاستدعاء لقوله عز وجل:

﴿۞ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾[3]

هنا الشاعر نجده يتسأل أين الغفور الذي رحمته وسعت الجميع ؟ لذا نجده يحثنا عن التوبة و ان نبتعد عن المعاصي، لأن رحمة الله واسعة شملت جميع الخلق، وان الله

[1] سورة الحشر، الآية 21.

[2] يوسف القرضاوي،نفحات ولفحات ،ص 75.

[3] سورة الأعراف، الآية 156.

غفور رحيم بعباده، وأنه سيكتب لنا في دنيا حسنة وفي الآخرة حسنة لمن تاب عن ذنوبه و أن الله عادل في حكمه وسيعطي كل ذي حق حقه، أن رحمته أنزلها على الجميع من هم على وجه الأرض و سيتغمد بها من كانوا منا متقين ويأتون الزكاة، لأنهم هم أيضا لم ينسوا من هم بحاجة للمعانة فجعل من زكاة لهم نصيبا، فحاور الشاعر الآية الكريمة لأنه وجد فيها ما يخدم تجربته سواء من ناحية الألفاظ أو المعنى تشير في احدى دلالاتها على رأفة الله عز وجل بعباده و أن الله لا يرد من جاءه متضرعا يطلب الرحمة والمغفرة بعدما كفر و أذنب.

أيضا ثمة استحضارا لنص غائب في قوله:

بِيِّضْ بِهِ وجْهِي بِيـــــــــوْمٍ قَادِمٍ فِيْهِ الوُجُوهُ مـــــــــسوَّدٌ و مبيَّضُ

يَا خَيْرَ مَنْ أَعْـطَى، و أَكْرَمَ مَنْ عَفَا وإِذَا دَعَاهُ مُذْنـــــــــــبٌ لايُعْرِضُ [1]

هنا تناص مع قوله تعالى:

﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ وُجُوهُهُم ٱسْوَدَّت أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ [2]

هنا وقع تذكير بيوم الحشر الذي تبيض فيه الوجوه وتسود ،كل واحد ينال جزاءه وستعرض الأعمال، وأما من ابيضت وجوههم فهم المؤمنون في جنات الخلد ،أما من اسودت وجوههم فهم الكافرون في نار السعير لذا علينا أن نسارع إلى التوبة و تسعى إلى عمل الخير قبل فوات الأوان يوم تعرض الأعمال لن ينفع لا مال ولا بنون، لذا نجد الشاعر استشفى من الآية ألفاظها فجعلها في قالب شعري لينسج عليه تجربته الشعرية وهو في منّاجاة الله عز وجل، مما جعل القصيدة تنحو منحى دينا فجاءت كلماتها ذات

[1] يوسف القرضاوي ،نفحات ولفحات ،ص 77،78.

[2] سورة آل عمران، الآية 106.

تأثيرا عميق في نفس المتلقى ،توحي بدلالات المعاناة و الضعف وبشاعة التعذيب حيث جسد لنا الشاعر صورة المعتقلين بإحساس وكأنه واحد من المعتقلين.

ونجد في مقطع آخر صورة تناصية في قوله:

قَدْ قَدَّرُوا مَوسِمَ الخَيْرَاتَ فَاسْتبِقُوا والاسْتِبَاقُ هُنَا الـــــمـحْمُودُ عُقْبَاهُ

صَامُوهُ قَامُوهُ إِيْمَانًا ومُحـــــتسِبًا أَحْيَوْهُ طَوْعًا ،ومَا فِي الخيرِ إِكْرَاهُ[1]

تناص مع قوله عز وجل:

﴿وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ أَيۡنَ مَا يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٤٨﴾[2]

هنا التعالق النصي بين البيت الشعري و الآية الكريم دعوة إلى بني البشر المبادرة في فعل الخيرات، لأن السباقون في ذلك لهم أجر كبير من الله عز وجل، والقيام بجميع الفرائض و إكمالها على كامل الأحوال قيام الصلاة في وقتها، وصوم رمضان، وإيتاء الزكاة، و الحج والجهاد في سبيل الله ولقد يسر الله على عباده للقيام بها،لأنه وعدهم بأعلى الدرجات و الحشر مع النبي صلى الله عليه وسلم، و دلالات هذا الاستحضار توحي إلى حب فعل الخير و إتباع كل ما ينص عليه الدين الإسلامي سواء من ناحية الأفعال أو الأقوال.

ومرة أخرى صورة تناصية من القرآن الكريم في قوله :

أُدْعُوهُ يُقبِلُنِي فِي المُخْلِصِـيْنَ لَهُ مِنْ اسْتـقَامُوا وقَالُوا: رَبُّنا اللهُ [3]

تناص مع قوله عز وجل:

---

[1] يوسف القرضاوي ،نفحات ولفحات ،ص 86.

[2] سورة البقرة، الآية 148.

[3] يوسف القرضاوي ،نفحات ولفحات ،ص 88.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠﴾[1]

هنّا المعنى أخذه الشاعر من قول الله عز وجل وقول الشاعر في الاستقامة والسعي لطلب الجنة، فمن استمسك بالله عز وجل واتبع ما أمرنا به وابتعد عن كل ما نهانا عنه فلن يظل طريقه و سيظفر بجنات النّعيم، لأنّهم بعد موتهم تتنزّل عليهم الملائكة تبشرهم أن لا يحزنوا على ما تركوه ورائهم ولا يخافوا ويبشروا بالجنات الخلد التى فيها ما لم تراه عين من خيرات، لجأ الشاعر إلى استحضار هذا النص الغائب كما هو مع التأخير والتقديم في التركيب حتى يخدم تجربته الشعرية، ومن دلالاته حث الناس على اعتصام بحبل الله و الاستقامة والثبات حتى الفوز بالمراتب العليا ونجد فيه نوع من التهويل المعنوي حتى يحي نفوس المغفلة عن طاعة الله عز وجل ليلتحقوا بقطار الاستقامة الذي ينتهي مطافه إلى الجنة.

نجد في قوله:

وقُلتُ:رَبِّ اهْدُهُمْ للحَقِ واهْدِ بِهُمْ و اجْعَـهُموا للهُدى جُندًا و أعْوانًا

وَمَنْ تَكُنْ بِرَسُول الله أســـوَتُهُ كَانَتْ خَلائِقُهُ رَوحـــًا و رَيحـانًا[2]

تناص مع قوله عز وجل:

﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾[3]

[1] سورة فصلت، الآية 30.

[2] يوسف القرضاوي ،نفحات ولفحات ،ص 31.

[3] سورة الأحزاب، الآية 21.

الشاعر هنا نظم القصيدة يدعم فيها إخوانه بطنطا، حيث يدعو الله عز وجل أن يسدد خطاهم و يجندوا أنفسهم من أجل نصرة الحق، مهتدون في ذلك برسول صلى الله عليه وسلم و يتعالق مع قوله عز وجل في (رسول الله أسوة حسنة) و استحضار جزئي للآية الكريمة وبعض دوالها لأن الله عز وجل يدعونا لاقتداء بخير الأنام وسير على خطاه توحي دلالات هذا الاستحضار على الجانب الديني للشاعر وقوة إيمانه، ذلك كون لشاعر داعية و تطلعه على القرآن و تفاسيره و سير الصحابة و المرسلين، و أخذ معاني القرآن و أفكاره و اكتست أشعاره كافة بحلة من تلك النفخات القرآنية فلا عجب أن يكون هذا الامام كلامه كله نفح طيب من القرآن الكريم.

استقى أيضا ألفاظ من القرآن الكريم فجاء حضورها عفوي لم يبالغ في ذلك منها ما جاءت في قوله:

يَا قَومِ قَدْ أَيَّدَ التَارِيْخُ حـــــجَّتَنَا وَحَصْحَصَ الحَقُّ للمُسْتَبْصِرُ الآنَا [1]

استحضر الشاعر قول الله عز وجل:

﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [2]

استحضار من قوله تعالى (حصحص الحق) وهنا صورة يوسف عندما اتهمته امرأة عزيز أنه أراد بها الفاحشة فألبسته التهمة، لكن الله نصره فتبين الحق وانكشف بعد كل محاولات امرأة عزيز، فارتكز الشاعر على هذا النص فخدمه في بناء نصه الذي يحث

[1] يوسف القرضاوي ،نفحات ولفحات ،ص 37.

[2] سورة يوسف، الآية 51.

فيه أهل وطنه بأن التاريخ يشهد والأقلام تدون حتى يظهر الحق، الدلالات المستوحاة أن كلمة الحق تبقى هي العليا حتى لو طال الزمن، أيضا عدم السكوت عن الحق والظلم مهما كان الظالم فالحق لن يدفن.

نجد ايضا في قوله :

فَي نَفْـــــــسِهِ ودِمَائُهُ:((أَنَا رَبُكُم)) لاَ تَجـــــعَلُوا رَبًّا لَكُمْ مِنْ دُونِي![1]

استحضر الشاعر من قوله الله عز وجل (أَنَا رَبُكُم) التى جاء في قوله:

﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾[2]

استدعى الشاعر ما قاله فرعون عندما استكبر وطغى فلم يفلح بعد قوله لا في الدنيا ولا الآخرة ،حيث استوحى الشاعر صور رئيس السجن الحربي بمصر كأنه يتقمس شخصية فرعون و يجعل المعتقلين تحت وطأته ويفعلوا ما يأمرهم به وأن يطيعوه ولا يعصوا له أمر، فراح الشاعر يسرد لنا أحداث السجن الحربي وبشاعة التعذيب،ومن الدلالات المستوحاة تجبّر الطّغاة و طغيانهم، ونحت منحى آخر ذا بعد ديني أن الله واحد ولا رب فوقه.

بعدما قمنا بكشف عن الصورة التناصية التى استقها الشاعر من القرآن الكريم التى جعل منها متنفسا لبث تجربته الشعرية ،فهناك آيات استقى منها المعنى و أخرى اقتطفها معنا ومضمونا حيث (يعد المرروث الديني أحد أهم المصادر الإلهام التى يمتاح منها الشاعر الحديث، ذلك لأن هذا الموروث غنّي برموزه و إيحاءاته و دلالاته وروحانياته العالية المتوائمة مع الروح الوثابة للشاعر)[3]

---

[1] يوسف القرضاوي ،نفحات ولفحات ،ص 56.

[2] سورة النازعات، الآية 24.

[3] عمر العامري ،قراءة في ديوان حارس المعنى لأحمد الخطيب ،مجلة الأفكار، عمان، الأردن ،العدد 727،أيلول 2011،ص 95.

2_ التناص مع الحديث النبوي:

هو كل (ما نسب إلى النبّي صلى الله عليه وسلم من قولٍ، أو فعلٍ، أو تقريرٍ أو وصفةٍ فكل ما أضيف إلى النبّي صلى الله عليه وسلم يسمى من ناحية الشكلية حديثا ،بغّض النّظر عن قوّته ،سواءً كان قويًا أو ضعيفا)[1]

وهو المصدر الثاني للتشريع الاسلامي بعد القرآن الكريم، كما جاء مقيدا به وقد تميز بجمال اللّفظ و قوة معنّى و التعبير، ذلك لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أفصح خلق الله، لذا نجد الشعراء قد نهلوا أيضا من الحديث الشريف، و يوسف القرضاوي واحد من هؤلاء الشعراء الذين لجوء إلى توظيف الأحاديث المأثورة على خير خلق الله محمد عليه صلاة والسلام سواءً جاء هذا التناص من النّاحية اللفظ أو المعنى.

نجد تعالق نصي في قوله:

كَمْ بِتُّ لَيْلِـــي كُلَّهُ مُتَثَـــــاقِلاً وَذَوو التُقى حَولِي قِيَـــــام رُكَـــع

كَمْ بَالَ فِيْ أُذُنَيَّ شَيْـــطَان الكَرى فإِذَا الصـــــبَاح عَلَى نَؤُوم يَطْـلَع[2]

هنا نجد مع قول صلى الله عليه وسلم :

« رَجُلٌ نَامَ لَيْلَةً حَتَّى أَصْبَحَ، قَالَ:ذَّاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَيْطَانُ فِي أُذُنَيْهِ»[3]

عمد الشاعر إلى اجترار النص الغائب كما هو، فنجده يحثنا على الذي نام اللّيل ولم يستيقظ للصلاة، لأن الشّيطان سدّ أذنيه حتى لا يسمع الذكر فأثقل سمعه ببوله وأخص البول لأنه سريع التسرب فيتوغل في جسم النائم ويتكاسل جسمه ولا ينهض لأداء صلاته

---

[1] شرف القضاة، المنهاج الحديث في علوم الحديث، الأكاديميون لنشر والتوزيع عمان، الأردن، ط 1، 2009، ص 16.

[2] يوسف القرضاوي ،نفحات ولفحات،ص 73.

[3] الإمام مسلم، صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح، ص 351.

ومن دلالات التى اضفاها النص الغائب على النص الشعري عدم تغافل عن أهمية على الصلاة وإعطاءها الأولية في حياتنا، و الحرص على أدائها في أوقاتها بعيدا عن التكاسل والخمول، كونها أول شيء يحاسب عليه المرء يوم الحساب.

ونجد أيضا استدعاء نص غائب في قوله:

أَنَا عَائِذٌ لِحِمَاكَ ،فَاقْبَلْنِي عَلَى مَا بِي ،وإِنْ تَقْبَلْ فَمنْ ذَا يَرْفُضُ؟

آتِينِي القُرآنَ ،فَانْفِعْنِـــــــي بِهِ وَ أَقِمْ بِهِ لِي حجَّةً لا تُدْحَــضُ[1]

هنا تناص امتصاصي مع قول الرسول صلى الله عليه وسلم:

«القُرآنُ حُجَّةٌ لَكَ لاَ عَلَيْكَ »[2]

الشيخ هنا امتص جزء من الحديث الشريف وأبقى المعنى كما هو حيث الشاعر يشير إلى فضل القرآن على قارئه، فهو ينتفع به ويتعلم منه كل ما يحتاج في حياته ،كما أنه يربي النفوس على القيم الحسنة ويأتي شفيعا لصاحبه في يوم الحساب، و ينير له ظلمة قبره هذا ما نص عليه الحديث أيضا لذا علينا أن نجعله حجة لنا لا علينا، و ننير به الجوانب المظلمة في حياتنا ولأن تدبر في كتاب الله يفتح ألف باب ونبحر في نور لا تنطفئ شعلته، أما عندما يأتى حجة علينا ذلك لجهلنا لأمور نفعلها وهو نهى عنها من دلالات استحضار الشاعر لهذا النص الغائب هو علينا تدبر القرآن الكريم ومداومة على قراءته و الانتفاع به.

و يقع نظرنا مرة أخرى على صورة تناصية في قوله:

و أَنْتُمِ الـــــقَوْمَ لاَ يَشْـــقَى وَمَنْ شَفَــعْتُمْ لَهَ يـُكْرِمُهُ مَوْلاَهْ[3]

---

[1] يوسف القرضاوي ،نفحات ولفحات،ص 77.

[2] الإمام مسلم ،صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، ت :نظم بن محمد الفرابي أبو قنيبة، دار طيبة، د ط 2006 ،ص 121.

[3] يوسف القرضاوي ،نفحات ولفحات،ص 88.

هنا نجد تناص مع قول النبي صلى الله عليه وسلم :

«هُمْ القَوْمُ لاَ يَشْقَى بِهُمْ جَلِيْسُهُمْ»[1]

لقد اجترى الشاعر ألفاظ الحديث الشريف و معانيه، فكلا من النصين حثا على مجالسة أهل الذكر لأن المجالس التى يذكر فيها الله عز وجل لا يشقى أصحابها، و مجالسة الأخيار سبب من أسباب العفو و جعلهم يسعدون سعادة لا شقاء فيها، وتنزل الرحمة والبركة على مجلسهم و تعم الحاضرين جميعا توحي دلالات إلى فضل مجالس الذكر والاجتماع على ذلك، و فضل الذاكرين على جليسهم.

مرة أخرى نتصادف مع استحضار لنص غائب في قوله:

مَنْ اهْتَدَى بِهُدَى الأَخْيـــــــار كَانَ عَلَى

خـــــــيْرٍ، وَســـارَ وعَـــــــيْنُ اللّهِ تَرْعَاهْ

وَمَنْ مَشى خَلـــــفَ رَكْبِ السُوءِ ضَاعَ كَمَ

ضَاعُوا وَتَاهَ بَعـــــيْدًا مِثْـــــــــلَمَا تَاهُوا[2]

نلاحظ وجود تناص مع قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

«إنَّمَا مَثَلُ الجَلِيْسِ الصَالِحِ و جَلِيْسِ السُوءِ، كَحَامِلِ المِسْكِ ونَافِخِ الكِيْرِ ،فَحَامِلِ المِسْكِ إِمَا أَنْ يُحَذِيْكَ ،وإِمَا أَنْ يَبْتَاعَ مِنْهُ وأَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيْحًا طَيْبَةٍ ونَافِخِ الكِيْرِ أَمَّا أَنْ يَحْرِقَ ثِيَابِكَ وإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيْحًا خَبِيْثَة»[3]

عندما تأملنا هاته الأبيات لاحظنا أن الشيخ يوسف القرضاوي استقى المعنى من الحديث

---

[1] الإمام مسلم، صحيح مسلم، باب كتاب الذكر و الدعاء و التوبة والاستغفار، باب فضل مجالس الذكر، ص 1239.

[2] يوسف القرضاوي، نفحات ولفحات،ص 86.

[3] الإمام مسلم ،صحيح مسلم، كتاب البر والصلة و الآداب، باب استحباب مجالسة الصالحين و مجانبة قرناء السوء ،م 1، ص 1215.

الشريف فاشتغل عليه من خلال امتصاصه لمعنى، ليحذرنا من رفقاء السوء وأن نحسن الاختيار لأن الصحبة الطيبة لا نجني منها الأخلاق الكريمة والمعاملة الحسنة، أما رفقاء السوء لا نجني منهم سوى الخروج عن مكارم الأخلاق ونصبح منبوذين من طرف المجتمع لما نتصف به من صفات سيئة، لذا علينا أن نحسن قطف خيرة الأصحاب، فنعم الجليس الصالح الذي يكون سبب في الفوز برضى الله عز وجل، ودلالات التى استقيناها الحرص على مجالسة صالحين.

بعدما تتبعنا صور التناص التى اشتغل عليها الشاعر نجد أن الحديث الشريف جاءت صوره قليلة مقارنة مع القرآن الكريم.

3_ التناص مع الشخصيات الدينية:

الشاعر يوسف القرضاوي لجأ الى توظيف الشخصيات التراثية لأن (الشخصية في الشعر تكون محور العمل الشعري أو القصيدة الشعرية يستلهم الشاعر جوانب من تجربتها ليعبر بها عن تجربة حية يحيها، وقد تكون الشخصية ثانوية ولكن استحضارها يعين الشاعر على تجليته فكرة يؤمن بها فيطرحها أو تأييد برهان على موقف يعبر عن مبدئه)[1] و هاته شخصيات سواء كانت إيجابية أو سلبية منها الأنبياء والرسل والصحابة والمجاهدين هذا دليل على أن الشاعر متطلع على تاريخ الإسلامي وتاريخ الامم التى مستها الحروب فوجدها أنها تخدم تجربته الشعرية فأسقطها على الواقع الذي تعيشه الامم من أبناء الأمة الإسلامية و بخاصة وطنه مصر الذي عانى من ظلم المستبدين والطغاة الجبابرة وإلى جانها فلسطين التى مازالت تنزف وتستغيث أبناء العرب ليخلصها من قبضة الغاشم المستبد من الشخصيات التى جاءت في شعر يوسف القرضاوي نجد:

شخصية "**سيدنا يوسف عليه السلام**" وقد أورده في عدة مواضع منها في قوله:

[1] نزار عبشي، التناص في شعر سليمان العيسى، رسالة ماجستي، كلية الآداب و العلوم الانسانية، جامعة البعث 2005، ص 224.

وَانظُرْ لِيُـــــوسَفَ إِذْ عَادَاه إِخْوتهُ فَجـــــــرَعُوهُ مِنَ الإِيذَاءِ أَلْوانَا [1]

في هذا البيت يدعو الشاعر أبناء شعبه أن يستمروا في نصرة الدين الإسلامي و متابعة مسيرتهم في دفاع عنهم، أن لا يسكتوا على ظالم ولا يكترثوا لبشاعة ظلم فاستحضر شخصية يوسف و دعاهم أن يستمد منه القوة والصبر على الظلم لأنهم يعانونا نفس معاناة التى عاشها يوسف عليه، راحوا ضحية غدر ذنبهم الوحيد دفاع عن الإسلام محاولا بث فيهم تحلى بصبر وعدم الاستسلام .

و أيضا في قوله :

يَا رَبِّ كَمْ يُوسَفَ فـــــيْنَا نَقِيِّ يَدٍ دَانُوهُ بِالسِـجْنَ والقَاضِي هُو الجَانِي! [2]

الشاعر هنا يدعوا الله ان يرأف لحالهم ،محاولا زعزعت مشاعر المتلقي والقارئ من أبناء الوطن العربي، ويحرك فيهم مشاعر الحزن والشعور بالظلم والاستبداد، فلجأ إلى اسقاط المحن التى مر بها النبي يوسف وتعددها وتعاقبها عليه أكدها باستعمال (كم) الخبرية لدلالة على كثرتها أما المحن التى مر بها أبناء وطنه هو القاضي المذنب الوحيد في ثباتها وتأكيدها على الأبرياء متعمد ذلك في إصدار الحكم عليهم بدون جريمة.

أيضا في قوله :

وَلَنَا بِيُوسَفَ أَسْوة فِي صـــبْرِهِ وقَدْ إِرتَمى فِي الســـــجْنِ بِضْعَ سِنِينَ [3]

هنا يوجه خطاب لإخوته المسلمين ،أن النّصر لن يأتي إلا بعد الصبر فلا نرضخ للظالم و نطأطئ رؤوسنا خوفا منه فعلينا أن نرفع الهامة عاليا مقتدون بذلك بصر نبينا يوسف عليه السلام الذي رمي في السجن ظلم لسنين عدة، و أنعم الله عليه بنعمة الصبر حتى أفرج عليه كربته هنا يمكن أن نلتمس نزعة التفاؤل عند الشاعر ويحاول بثها في نفوس

[1] يوسف القرضاوي، نفحات ولفحات، ص 31.

[2] يوسف القرضاوي، نفحات ولفحات، ص 33.

[3] المصدر نفسه، ص 58.

إخوانه المعتقلين معه لأنه لابد من تفرج الكربة وكشف الغمة، و الدلالة التى وصلنا إليها من خلال هذا الاستدعاء هي تشابه محنة سيدنا يوسف عليه وسلم مع محنة أهل مصر من معتقلين والثوار الذين راحوا ضحية الغدر والظلم، متمسكين بالله بأنه سينصرهم كما نصر نبينا يوسف.

ثاني شخصية صادفتنا شخصية خاتم الأنبياء "**محمد صلى الله عليه وسلم**" و قد جاءت في مواطن عدة في قصائده هذا دليل على حبه الشديد لرسول صلى الله عليه وسلم ونجد ذلك في قوله:

وَ انْعَم بِلُقـــــــيَاكَ الرَسُول مُحَمدًا وبِوجْهِ رَبِّكَ رَاضِيـــــــــًا مَقْبُولاً[1]

أيضا في قوله :

إنْ لَمْ يثــصِلِّ عَلَيَّ فِي الأَرْضِ امْرؤُ حَسْبِيَ صـــــــــــلاَتُهُمُو بِعلِيين

أَنَا بِجوارِ الُمصـــــــطَفَى وَ صِحَابِهِ أَحْظَى بِأَجْرٍ ليسَ بِالمَـــــــــنُون[2]

الشاعر هنا يستدعي شخصية "الرسول صلى الله عليه وسلم " بأنه إن استشهد في سبيل وطنه و دفاعه عنه وعن سيادة الإسلام، ولم يعطوهم جثته لكي يصلوا عليه صلاة الجنازة فإنه سيرزق بصلاة في العليين وسيحشر بجوار المصطفى، لأن الشهداء ليسوا بأموات وبل أحياء في جنّات الخلد ينعمون بالخيرات، و أعظم ما فيها أنهم بجانب الرسول صلى الله عليه خير خلق الله.

كذلك في قوله:

و عَزاؤُنَا أَنَ الـــــنَّبِي ـفَدَيتُه بِأَبِي و أُمـــــــــــــِي ـكُم رُمِيَ بِطُعُونْ

مِن سَاحِرٍ حـــــــيًّا، لبَّاغٍ مُفْتَّرِ أو كاهن، أو شَاعِرٌ مَجـــــــــــنُونْ

[1] يوسف القرضاوي، نفحات ولفحات، ص 39.

[2] المصدر نفسه، ص 48 ،49.

قَالُوا كَذَابًا:دَعْوةٌ رَجـــــــعِيَّةٌ معزولة عن قرنها العـــــــــشرين[1]

استدعى الشيخ يوسف القرضاوي شخصية "الرسول صلى الله عليه وسلم" ليثبت لنا حبه الشديد له، و خير دليلا على حبه أنه فداه أبيه وأمه، لأنهم رأى أن التاريخ يعيد نفسه في بلاده مصر إبّان دخول الصهيون و فرض سيطرته محاولين تدنيس الإسلام و تضليل الناس عن الدين الإسلامي وانساب التهم الملفقة لرسول صلى الله عليه، كما فعلوا أهل مكة معه عندما كان يبلغ رسالته و يدعوا للإسلام، كما أنه يصرخ ويندد أن الشعب المصري يرى أن لا دين غير الإسلام، وأن شرع الله هو شرع نبينا محمد عليه الصلاة والسلام.

استدعى كل من نبي يونس و نوح وإبراهيم عليهم السلام في قوله:

يَا مَنْ أَجَبـــــتَ دُعَاءَ نُوحَ:((فَانْتَصِر)) وَحَمَلْتَهُ فِي فُلـــــــكِ المَشْحُون

يَا مَنْ أَحَالَ النَّارَ حولَ خَلَـــــــــــيْلِهِ رَوحًا و رَيْحَانًا بِقَـــولِكَ: ((كُونِي))

يَا مَنْ أَمَرْتَ الـــــــــحُوتَ يَلْفَظُ يُونَسًا و سَتَرْتُهُ بِشـــــجَيْرَةِ الـــــــيَقْطِين[2]

استحضر الشاعر في هذا المقطع الشعري الأنبياء كل من نوح عليه السلام "والنبي "يونس عليه السلام "و "إبراهيم عليه السلام" الذين صبروا على آذى قومهم ،ولم يعرفوا للهزيمة والفشل طعم، و زادهم في ذلك الدعاء والتضرع للخالق عز وجل بأن ينصرهم و يعينهم على تبليغ الدعوة، هذا ما أراد يوسف من أبناء أمته أن يفعلوه أن لا يفشلوا و لا يعودوا على أدراجهم حتى يتمكن من استرجاع سيادتهم المسلوبة وحقوقهم المغتصبة من طرف الصهيون الغاشم الذي استهان بضعفهم وقلة اليد المساعدة والمتمكنة الذي نسي أن الله بصير بعباده، دلالة هذا الاستحضار أن الله يجيب دعوة المظلوم و يمنحه النصر جزاءا لصبره .

[1] يوسف القرضاوي،نفحات ولفحات،ص 57.

[2] المصدر نفسه، ص 59.

إلى جانب الاستدعاء الرسل و الأنبياء استدعاء أيضا الخلفاء الراشدين والذين ساندوا الأنبياء في إكمال مسيرتهم لكي تعم الدعوة الإسلامية كل أقطاب العالم من هؤلاء الرجال الذين كانوا حول الأنبياء والرسل نجد الذين استدعاهم في قول:

فَمَن يُدَانِي أَبَا حَفْصٍ و صاحِبُهُ؟ وَمَن يُدَانِي عَلِيّاً و ابْنَ عَفَّانَ؟[1]

هؤلاء الخلفاء الراشدين كان لهم دورا كبيرا في مساندة الأنبياء والرسل في

استمرار حركة الدعوة الإسلامية فقد كان لهم فضل كبيرا في ذلك فاستدعاهم الشاعر في قصيدته "مناجاة في ليلة القدر" ليبين فضل القرآن في تربية الجيل الأول، الذي ضحى بالغالي ونفيس في سبيل الدعوة الإسلامية محاولا بذلك بث روح الغيرة في نفوس هؤلاء المعتقلين لكي يسيروا على خطى هؤلاء الرجال و يكملوا مسيرتهم في دفاع عن الدين الإسلامي.

أيضا استدعي شخصية "أبي بكر الصديق" في قوله:

يَرْضَى النَّبِي أَبَا بَكْرٍ لِدِيْنِـــــهُمُو فَيــغْلِنِ الجَمْعُ : نَرْضَاهُ لِدِنَيانَا[2]

وأيضا في قوله :

مَا مِن (أبي بكر) يــــــــــــؤَدْ بِهِمْ و يَكـــــــــبَحُ مِن جِمَاحَ[3]

كما نرى في هذا البيت أن الشاعر استحضر شخصية أبي بكر الصديق أحد الصحابة الذين كانوا بجانب الرسول صلى الله عليه وكان يسير على خطوى عليه الصلاة والسلام فكان يسانده في أيام البعثة حين اعتزله الجميع فتشتت الناس من حوله، وكذبوا كلامه و كل ما جاء به، فثارت الحرب من أجل الرئاسة والزعامة و كسب المال والجاه وكل سعى لجمع الناس من حوله، و أبي بكر الصديق فأبى إلا أن يسخر نفسه لنبي صلى الله

[1] يوسف الفقرضاوي، نفحات و لفحات،ص 33.

[2] المصدر نفسه، ص 36.

[3] المصدر نفسه،ص 82.

عليه و نصرته وكان من جنود الحركة الإسلامية والاستحضار هذا جاء به الشاعر ليبين لنا بأن زمن النبيي صلى الله عليه وسلم، يعيد نفسه مع فلسطين، لكن الدلالة تختلف فالشاعر يريد أن يوضح لنّا بأن الرسول صلى الله عليه وسلم وجد من يساند و يقف إلى جانبه عكس فلسطين التى تصرخ ليلا و نهار لكن لا جدوى من تلك الصرخات لأنها لم يقفوا جانبها.

أيضا استدعى شخصية "عمر بن خطاب رضي الله" عنه في قوله:

أَبْكِي فَتَى صَـــــــــلْبًا تَكَادُ تَخَالُهُ عُـــــــــمْرًا، يُخِيْفُ ولاَ يَخَافْ[1]

استدعى الشاعر شخصية عمر بن الخطاب عندما أنشد القصيدة يرثي فيها أخاه المجاهد زكي الدين أبو طه الذي شبهه الشاعر بالفاروق الذي كان مخلصا لنبي صلى الله عليه وسلم و كما أنه من أقرب الصحابة إليه واشتهر بعدله، تهابه الناس لهيبته ولا يخاف الصعاب، فوجد في المجاهد زكي الدين خصالا من الفاروق الذي كان من الدعاة المخلصين بذل الكثير من أجل دعوة الناس لدفاع عن الإسلام كما أنه عرف بصبره على الأذى والعذاب الذي تلقاه في السجن لكنه بقى على وعده وعهد لنصر الاسلام إلى أن وافته المنية، و دلالة هذا الاستحضار هو الاقتداء بمن سبقونا و كسب منهم الخصال الفضيلة.

إلى جانب الخلفاء الراشدين استدعى الشاعر شخصية أسهمت في دعوة الإسلامية، فقد كان فيها الضعيف والقوى والفقير والغنّي، لأن الدين الإسلامي لا يفرق بين العربي والأعجمي ولا بين الأبيض والأسود بطبيعة الحال كلنا من آدم و حواء، وكلنا خلقنا من طين، ومن هؤلاء الرجال الذي جندوا أنفسهم في سبيل الدعوة الإسلامية هذا ما جعله يستدعي شخصية بلال الحبشي و هو (هو بلال بن رباح مولى أبي بكر الصديق وهو مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم من السابقين الذين عذبوا في الله، شهد بدراً

[1] يوسف القرضاوي ،نفحات ولفحات ،ص 38.

وشهد له النبي صلى الله عليه و سلم على تعيين بالجنة)[1] وعمار بن ياسر هو(عمار بن ياسر الإمام الكبير أبو اليقظان العنسيّ المكيّ أحد السابقين الأولين و الأعيان البدريين)[2] وسلمان الفارسي هو(سلمان ابن الإسلام أبو عبد الله الفارسي سابق الفرس الى الاسلام صحب النبي صلى الله عليه وحدّث عنه)[3] استدعاء هؤلاء الرجال الذين كانوا حول الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله:

أَعْطُوا ضَرِيْبَتِهِمْ صَبْـــرًا عَلَى مِحَنِ صاغت بلالاً وعَمَّارًا و ســـــــلْمَانًا

عَاشُوا عَلَى الحـــــــبِّ أَفواهًا و أَفئ بَاتُوا عَلَى البُؤسِ والنَّعـــْمَاءِ إِخْوانًا[4]

أيضا في قوله :

أَمْسَـــــــــى بِلالٌ بِهِ مِن ذِلّة مَلِكًا و صَارَ سَلــمانُ شَيْئًا غَيْرَ سلمان [5]

في هذا المقطع الشعري يثني الشاعر جنود الحركة الإسلامية سواء الأقوياء أو الضعفاء الذين جندوا أنفسهم للدفاع عن الدين الاسلامي متحدين كل من وقف في طريقهم، و لتأكيد ذلك لجأ الشاعر إلى تكرار (أعطوا ضريبتهم)ليؤكد لنا مجهوداتهم التى بذلوها في سبيل استمرار الدعوة الإسلامية وصبرهم على محن رغما تعاقبها عليهم إلا أنهم حملوها على أعتاقهم ولم تكسر همم و شيمهم التى عرفوا بها، و نجد الشاعر من خلال هذا الاستحضار أنه لو أسقطنها على واقع الدعوة الإسلامية في حاضرنا لا تحقق ما تحقق بأمس.

---

[1] سعد يوسف أبو عزيز، رجال ونساء حول الرسول صلى الله عليه وسلم، دار الفجر للتراث لنشر والتوزيع، القاهرة مصر، ط 1،1999.ص 173.

[2] المرجع نفسه، ص 239

[3] المرجع نفسه، ص 244.

[4] يوسف القرضاوي، نفحات ولفحات،ص 36.

[5] المصدر نفسه، ص 32.

إلى جانب هذه الشخصيات التى كان لها أثر إيجابي في مسار الدعوة الاسلامية كانت هناك شخصيات سلبية وقفت أمامها و جعلت من أنفسها حفرًا تعرقل من يسعوا لإيصال الدعوة الإسلامية من هذه الشخصيات نجد في قوله :

مَا زَالَ فِينَا أُلُوفَ مِن أَبِي لَهـــــــــــــبِ

يُؤْذُونَ أَهْلَ الهـــــــــــــــدَى بَغْيًا و نُكْرًا

مَازَالَ لابن سَلُولَ شـــــــــــيعَة كَثَرُوا

أَضْحَى النِّـــــــــــفاقَ لَهُم وِسَمًا وعُنوانًا [1]

كلنا نعرف شخصية أبو لهب(بأنه كان أول من أظهر عداوته للإسلام وللرسول محمد صلى الله عليه وسلم، لم يكتفي بمعارضته للإسلام بل أكد عليها بالعمل حيث جند الكثير من الناس لإلحاق الضرر به وبالدعوة الإسلامية)[2] أما بخصوص "عبد الله بن أبي بن سلول"(فهو شخصية صاحبة الامتياز في إخراج ظاهرة النفاق إلى الوجود، وهو زعيم وعميد آل سلول عاش قديما قبل مجيء الإسلام في المدينة المنور وهو شخصية من الشخصيا التى ذكرها التاريخ الإسلامي وكان زعيم من زعماء قبيلة الخزرج في يثرب ،وبعد وصول الرسول صلى الله عليه وسلم إلى مدينة المنور مهاجرا دخل عبد الله بن سلول الاسلام ظاهريا أما باطنا فكان يكفر بالدسن الاسلامي و سمي بكبير المنافقين وهو حاقد على التبي صلى الله عليه وسلم ،لأنه لولا قدوم النبي إلى المدينة كان سيصبح زعيمها و حاكمها)[3]

استدعاء الشاعر كلا شخصيتين "أبي لهب" ذلك ليبين رغم القرابة بينه وبين الرسول صلى الله عليه وسلم، كان ظالما له وتعرض لظلم شديد منه ودلالى هذا استحضار بأن

---

[1] يوسف القرضاوي ،نفحات ولفحات،ص 36.

[2] صابرين السعو، أبو لهب عم الرسول، www.mawdoo3.com ،08_04_2018 ،12:41.

[3] سلمان البداوي، من هم آل فرعون، www.mawdoo3.com، 04_ 05_ 2018، 15:55

المسلمين يلدغون من طرف اخوانهم المسلمين يتقمصون دور المحبين في ظاهر و لكن حقيقة غير ذلك ويسقط صورة أبي لهب على هؤلاء الذين هم عصرنا يعترضون طريق الدعوة الإسلامية وأن أبي لهب ذهب ومازال خلفاءه فينا.

أما "ابن سلول" استحضره لسقط صورته على حاكمنا لأنهم يسعونا للملكية غير مبالين بأبناء وطنهم ،يتصفون بطمع والشجع هذا ما كان يتصف به ابن سلول لأنه كان يسعي للملكية والجّاه و كان يسعى لمصالحه الذاتية دلالة هذا الاستحضار ليوضح من خلاله أن حكامنا يفتقدون للإخلاص والصدق أهم الصفات التى يجب أن يتحلى بها الحاكم.

لقد كان استدعاء الشخصيات في ديوان "نفحات ولفخات" واضح وبشكل ،وذلك لما قدمته و مجهودات لاستمرار الدعوة الإسلامية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم سواء كانت هذه الشخصيات ايجابية أو سلبية، ليسقطها على حال الدعوة الإسلامية في واقعنا الأليم الذي يفتقر إلى أمثال هؤلاء الرجال الذين قدموا أنفسهم من أجل توحيد كلمة الإسلام، وهذا يدل على إعجاب الشاعر بهاته الشخصيات و تأثره بهم وكأنه يتمنى عودتهم ليفعلوا ما عجزوا عنه رجال اليوم.

تعدد حضور التناص و تنوع في شعر يوسف القرضاوي، ذلك لسّعة مخزونه الفكري والثقافي سواء من النّواحي الدينّية أو الأدبية أو التاريخية أو غيرها، وبما أن ظاهرة التناص تعمل على كشف علاقات التداخل بين النصوص(لأن النص ليس ذاتا مستقلة أو مادة موحدة ولكنه سلسلة من العلاقات مع النصوص الأخرى)[1] لذلك نادرا ما توجد نصوص خالية من ظاهرة التناص ولا يكاد يخلو نص معاصر منها لأن الشاعر يجعلها اللبنة الأولى التي يبني عليها تجربته الفنية، وقد يلجأ الشاعر للأخذ من هاته المصادر متعمدا ذلك حتى يلفت انتباه القارئ ويجعل نصه أكثر مقروئية و طبعا ذلك حسب قدرته على توظيف تلك النصوص يخلق جمالية فيها، وتقديم دلالات مختلفة لتوضح المعنى وإبراز الفكرة، وهناك من تتولد عنده عن طريق الصدفة ذلك من خلال القراءة والمطالعة ويوسف القرضاوي من هؤلاء الشعراء الذين تجلت ظاهرة التناص في شعرهم وبرزت بصورة جلية، ومن أبرز النصوص التى تحضر في شعره نجد النص الديني بأنواعه والأدبي، وهذا ما نسعى لتناوله في هذه المقاربة:

1_ التناص مع القرآن الكريم:

القرآن الكريم هو كلام الله عز وجل المنّزه عن الخطأ، آخر الكتب السمّاوية نزّل على خاتم الأنبياء والرسل محمد صلى الله عليه وسلم وتميز القرآن بفصاحته و قوة بلاغته، و هو الكلام الذي يهزّ القلوب ويقرع الأسماع و ترتجف له الأبدان لما له من تأثير على قارئه أو سامعه تحدى الله به سائر البشر أن ينسجوا كلاما على منواله، ولقد عد القرآن الكريم أبرز المصادر التى نهل الشعراء منها وجدوا فيه المعين الذي لا ينضب. ومن خلال جولتنا بين طيّات ديوان "نفحات و لفحات" لاحظنا أن الشاعر تأثر بالقرآن الكريم، و تأثره به أضحى واضحا لا تشوبه شائبة فأبّى إلا أن ينّهل منه، وقد جعله سندا و ركيزة في بناء قصائده وذلك لثرائه المعنوي والمعرفي واللّفظي، الأمر الذي جعله

[1] عبد الله الغذامي ،الخطيئة و التفكير،الهيئة المصرية ،مصر ،ط 4 ،1998،ص 325.

يستدعي القرآن الكريم في شعره و هذا الحضور الديني جعل قصائده في حركة دائمة ومستمرة تعبيرا عن مكبوتاته ومشاعره التى لم ترضخ للصمت وخرجت لرحب أوسع مرتدية حلة التناص.

ومن خلال دراستنا لاحظنا أن التناص القرآني في ديوان "يوسف القرضاوي" لم يأت بصورة واضحة و لم يبالغ الشاعر في توظيفه، و في مقابل ذلك نجده قد أبدع في إدراج هذه الصور التناصية دون أن يشعر المتلقى أو القارئ بذلك، ومن الإستحضارات القرآنية نجد في قوله:

نحن النجُوم تزينُ الكون طَلْعـــــــــَتَنا

ويهتدي بِسَنَانَا كل حـــــــــــــــــيْـرَان

نحن النُجُوم فَلا تَعْـــــــــجَبْ إذا انطلقت

مِنَّا رُجُومٌ أَخـــــــــــــــــافَتْ كُل شَيطان[1]

هنا نجد تناص مع قوله عزّ و جل :

﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَ جَعَلْنَٰهَا لِّلشَّيَٰطِينِ رُجُومًا وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝ ﴾[2]

إن القارئ و هو يطلع على هذه الأبيات يستحضر الآية الكريمة من الوهلة الأولى، و في هذه الصورة التناصية صورة المعتقلين الذين سجنوا داخل السجن بعدما كانوا أحرارا يمرحون في الأفق، يفتحون الطريق لكل من ضاقت به السبل، ولا يرضون للظلم و المهانة، ولا يرضخون للعدو تهابهم كل الطغاة والجبّابرة، شبههم بالنّجوم التى تزين لنّا الكون ،التى تتحول إلى الشهب تحرق الشياطين التى تسترق السمع، هو كذلك حال هؤلاء

[1] يوسف القرضاوي ،نفحات ولفحات ، دار الهدى ،عين ميلة الجزائر ،د ط ،د ت ،ص 33.

[2] سورة الملك، الآية 5.

المعتقلين الذين ينطلقون من كل صوب وحدب لمواجهة العدو الغاشم، لذلك لجأ الشاعر لتوظيف هاته الآية ليوسع من فضاء القصيدة و يعطيها دلالة جديدة مستمدة من النص القرآني، غايته من توظيف النص الغائب هذا ليبين قوة الثوار التى لا تقهر لكي يهتدوا بهم أبناء وطنهم، المشهد هنا يصور لنا الإيحاءات التى تحمل دلالات أخلاق هؤلاء المعتقلين وما كانوا يتصفون به من صدق وطهارة النفوس.

وأيضا نجد استحضار نص غائب في قوله :

يا رب كم مِنْ يوُسِفٍ فينا نقـــــــــــــــيِّ يدٍ

دَانُوهُ بالسِجنِ والقاضـــــــــــي هو الجانـي[1]

هنا تناص مع قوله عز وجل:

﴿قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ٣٢﴾[2]

يجسد لنا الشاعر في قوله يجسد لنا صورة الاضطهاد وبشاعة القهر وسوء المعاملة التى كان المعتقلون يعانون منها، هؤلاء الأبرياء الذين وقوعوا في فخ العدو، راحو ضحية الطغاة الجبابرة الذين لا رحمة في قلوبهم ولا شفقة حيث عاش هؤلاء الأبرياء المعاناة نفسها التى عاشها سيدنا يوسف عليه السلام الذي غدر به إخوته و ألبسوا التهمة للذئاب استدعى الشاعر النص الغائب ليجعل منه مصدر قوة ذا تأثير كبيرا في نفس المتلقى ليجعله يدرك قيمة هؤلاء الذين ضحوا بحريتهم من أجل وطنهم ،فوجد في هذه الآية ما يجسد تجربته الشعرية، إن دل على شيء فإنه يدل على مدى تأثر الشاعر بقصة يوسف عليه السلام، فيوسف غدر به لأن أبوه كان يحبه أكثر من إخوته، أما هؤلاء الثوار غدر

[1] يوسف القرضاوي ،نفحات ولفحات ،ص 33.

[2] سورة يوسف، الآية 32.

بهم بسبب دفاعهم عن وطنهم ومن الدلالات التى جاءت بها النص الشعري موقف الشاعر من الخيانة و الخبث التى عاشها سيدنا يوسف عليه السلام تتفق مع أهل مصر.

ونلمس أيضا صورة تناصية في قوله:

فَعِشْ يَا كَوكَباً يَا شِعْرُ يَهْدِى إلى العُـلاَ

وَيَنْقَضُّ رُجْمًا للشـــــــــــــياطِيْنَ كالشُهب[1]

تناص مع قوله عز وجل :

﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝١٠﴾[2]

ختم قصيدته "أنا والشعر" بهذا البيت ليحثنا عن غايته و هدفه من كتابته للشعر ،وهنا يريد أن يخبرنا أن شعره ليس مجرد كلمات نظمت لتذهب هباء، أو مجرد تعبير عن مكبوتات للترفيه عن نفسه، وإنما جاءت تحمل في طياتها صرخات يدعو فيها إلى الامتثال للحق ونصّرة المظلومين والمضطهدين من أبناء الأمة العربية ،فشبه شعره بالشهاب الثاقب الذي يحرق كل شيطان مارد،ذلك هو حال شعره جعله كالشهاب يرجم به الأعداء، وليصل صدى كلماته إلى أبعد الحدود، لعلها تستقطبها الآذان الصاغية لتحيي ضمير الميت في الشعوب العربية نجده امتص المعنى من النص القرآني ليعطي لقصيدته بعدا آخرا ليوسع به فضاء قصيدته ليتمكن من الوصول لهدفه وغايته من منظم

[1] يوسف القرضاوي، نفحات ولفحات، ص71.

[2] سورة الصافات، الآية 6_10.

القصائد التى تحاكي العالم العربي خاصة وطنه مص، و تشير دلالات النص إلى صدق كلامه وحرصه على انتقاء الألفاظ و براعته في توظيفها.

ويقع بصرنا مرة أخرى على صورة تناصية في قوله:

جلاَدُ ثَــورتِهم وسَوطُ عَذَابِهَ سَمــوْهُ زُوراً قَائِدِ الســـــجون

وجهٌ عبُوسٌ قَمـطَرِيْر حَاقِدٍ مُسْــتَكْبِرُ القَسَمَات و العَرَنْيَنَ[1]

هنا وقع تناص مع قوله تعالى :

﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠﴾ [2]

يصف لنا جلاد الثورة "حمزة البسيوني" صاحب الوجه العبوس الذي لا دين له ولا خلق ،تعلو على وجهه الوقاحة والكراهية كان يعذب ويجلد الثوار بلا رحمة ولا شفقة، هؤلاء المعتقلين كانوا يخشون وجهه العبوس المقبض بين العينين هو حاله كمثل الكفار يوم القيامة يواجهون الله عز وجل بوجوه عبوسة والعرق يتصبب في يوم عصيب لينالوا جزاءهم لما كانوا يفعلونه، امتص الشاعر ألفاظ الآية الكريمة ليصور لنا الحالة التى يستقبل بها جلاد الثورة المعتقلين وسمات الكفار بادية على وجهه، دلالات هذا تناص وكأن الشاعر جاء به ليصور لنا أهوال القيامة، لأن الآية في حد ذاتها هي وصف لليوم القيامة، هذا ما جعل الشاعر يستحضرها لينسج عليها بيته الشعري مما نتج عنها قوة الألفاظ ومعانيها.

و يقع نظرنا مجددا على صورة تناصية في قوله:

وَعزَاؤُنَا أَنَ الــنّبِي ـ فديْــتُهُ بِأَبِي و أُمِي ـ كمْ رُمِــيَ بِطُعون

مِنْ ســاحِرٍ حينًا ،لَــبَاغٍ مُفْتَرٍ أَوْ كَاهِنْ ،أَو شَاعِر مَجــــنُون

[1] يوسف القرضاوي نفحات ولفحات ،ص 46،47.

[2] سورة الإنسان، الآية 10.

قَالُــوا كَذَاباً :دَعْوةٌ رجعـــــيةٌ مَـــعْزُولَةٌ عَنْ قَرْنِهَا العِشْــرِينِ[1]

وقع هنا تناص مع قوله تعالى:

﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا أَوۡ سَاحِرٌ مَّجۡنُونٌ ﴿٥٢﴾﴾[2]

هنا أراد أن يخبرننا بأن التاريخ يعيد نفسه بعد عشرين قرنا أين نحن من هذا ليقولوا عن الرسول صلى الله عليه وسلم ما لم يقله، يرمونه بالكاذب المفتري ،كذبوا دعوته ،و وصفوه بالشاعر المجنون، يحث هنا المسلمين على تكذيب هذه الأقاويل ،ويدعوهم الى نصرة الرسول صلى الله عليه وسلم، كما نصره أصحابه و أتباعه أيام كان كفار مكة يتبلونه والغاية من استحضار هذا النص هو نفس الهدف الذي تحث عليه الآية الكريمة،أن الرسول جاءنا بلسان مبين يحمل الرسالة لكافة الناس ليبلغهم أن الرب واحد ولا دين إلا الدين الإسلامي، وما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم هو كلام الله عز وجل وليس بشعر ولا كلام مفتر، و من دلالات هذا الاستحضار تكشف لنا معاناة الرسول صلى الله عليه وسلم التى عانى منها أثناء تبليغ رسالته، رغم طهارته وتقواه إلا أنه لم يسلم من كفار.

وأيضا في قوله:

كَمْ أَقْرَأُ الآيَات لَو نَزَلَتْ عـــــلى شَمِّ الجِبَال رَأَيْتَها تَتَصَـــــــــــــدَعُ

مَا لـي أُرَدِّدُ وَعْـــــدَهَا و وَعِيْدَهَا مَا رَقَّ قَلْبـــــــي أو جَرى لِي مدْمَعُ[3]

تناص مع قوله عزّ وجلّ :

﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ

[1] يوسف القرضاوي ،نفحات ولفحات ،ص 57.

[2] سورة الذاريات ،الآية 52.

[3] يوسف القرضاوي ،نفحات ولفحات ،ص 73.

ٱللَّهِ ۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾[1]

من خلال هاته الأبيات يوضح الشاعر مكانة القرآن الكريم، فيتساءل الشاعر في تعجب و دهشة كيف لا تخشع له القلوب و تتصدع ،وهو إن نزل على جبال و ما أدراك الجبال من صلابتها و صمودها لتصدعت وكيف نحن بني البشر لا تدمع لنا العيون ولا ترق له القلوب و تخشع من كلام الله عز وجل، لقد استحضر الشاعر النص القرآني بدلالاته وإيحاءات لكنه عمد الى تغيير في بناء اللفظي للآية لكي يلائم بناء تجربته الشعرية وتشير دلالات النص الى فضل القرآن ومكانته و قوة كلام الله عز وجل وما تحمل من معاني .

ونجد أيضا استدعاء لنص غائب في قوله:

أَيْنَ الغَفُور ؟وأَيْنَ رَحمـتُهُ التِي وَسِعَتْ جَمـــِيْعَ الخَلْقِ ؟أَيْنَ المُوسَع؟

هذَا أَوان العَفْو،فاعْـفُ تَفضُّلا يَا مَنْ لَهُ تعـــــنو الوجُوه و تَخشَع[2]

و جاء هذا الاستدعاء لقوله عز وجل:

﴿۞ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾[3]

هنا الشاعر نجده يتسأل أين الغفور الذي رحمته وسعت الجميع ؟ لذا نجده يحثنا عن التوبة و ان نبتعد عن المعاصي، لأن رحمة الله واسعة شملت جميع الخلق، وان الله

[1] سورة الحشر، الآية 21.

[2] يوسف القرضاوي،نفحات ولفحات ،ص 75.

[3] سورة الأعراف، الآية 156.

غفور رحيم بعباده، وأنه سيكتب لنا في دنيا حسنة وفي الآخرة حسنة لمن تاب عن ذنوبه و أن الله عادل في حكمه وسيعطي كل ذي حق حقه، أن رحمته أنزلها على الجميع من هم على وجه الأرض و سيتغمد بها من كانوا منا متقين ويأتون الزكاة، لأنهم هم أيضا لم ينسوا من هم بحاجة للمعانة فجعل من زكاة لهم نصيبا، فحاور الشاعر الآية الكريمة لأنه وجد فيها ما يخدم تجربته سواء من ناحية الألفاظ أو المعنى تشير في احدى دلالاتها على رأفة الله عز وجل بعباده و أن الله لا يرد من جاءه متضرعا يطلب الرحمة والمغفرة بعدما كفر و أذنب.

أيضا ثمة استحضارا لنص غائب في قوله:

بِيِّضْ بِهِ وجْهِي بِيـــــــــوْمٍ قَادِمٍ فِيْهِ الوُجُوهُ مـــــــــسوَّدٌ و مبيَّضُ

يَا خَيْرَ مَنْ أَعْـطَى، و أَكْرَمَ مَنْ عَفَا وإِذَا دَعَاهُ مُذْنـــــــــــبٌ لايُعْرِضُ [1]

هنا تناص مع قوله تعالى:

﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ وُجُوهُهُم ٱسْوَدَّت أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾[2]

هنا وقع تذكير بيوم الحشر الذي تبيض فيه الوجوه وتسود ،كل واحد ينال جزاءه وستعرض الأعمال، وأما من ابيضت وجوههم فهم المؤمنون في جنات الخلد ،أما من اسودت وجوههم فهم الكافرون في نار السعير لذا علينا أن نسارع إلى التوبة و تسعى إلى عمل الخير قبل فوات الأوان يوم تعرض الأعمال لن ينفع لا مال ولا بنون، لذا نجد الشاعر استشفى من الآية ألفاظها فجعلها في قالب شعري لينسج عليه تجربته الشعرية وهو في منّاجاة الله عز وجل، مما جعل القصيدة تنحو منحى دينا فجاءت كلماتها ذات

[1] يوسف القرضاوي ،نفحات ولفحات ،ص 77،78.

[2] سورة آل عمران، الآية 106.

تأثيرا عميق في نفس المتلقى ،توحي بدلالات المعاناة و الضعف وبشاعة التعذيب حيث جسد لنا الشاعر صورة المعتقلين بإحساس وكأنه واحد من المعتقلين.

ونجد في مقطع آخر صورة تناصية في قوله:

قَدْ قَدَّرُوا مَوسِمَ الخَيْرَاتَ فَاسْتبِقُوا والاسْتِبَاقُ هُنَا الـــــمـحْمُودُ عُقْبَاهُ

صَامُوهُ قَامُوهُ إِيْمَانًا ومُحـــــتسِبًا أَحْيَوْهُ طَوْعًا ،ومَا فِي الخيرِ إِكْرَاهُ[1]

تناص مع قوله عز وجل:

﴿وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ أَيۡنَ مَا يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٤٨﴾[2]

هنا التعالق النصي بين البيت الشعري و الآية الكريم دعوة إلى بني البشر المبادرة في فعل الخيرات، لأن السباقون في ذلك لهم أجر كبير من الله عز وجل، والقيام بجميع الفرائض و إكمالها على كامل الأحوال قيام الصلاة في وقتها، وصوم رمضان، وإيتاء الزكاة، و الحج والجهاد في سبيل الله ولقد يسر الله على عباده للقيام بها،لأنه وعدهم بأعلى الدرجات و الحشر مع النبي صلى الله عليه وسلم، و دلالات هذا الاستحضار توحي إلى حب فعل الخير و إتباع كل ما ينص عليه الدين الإسلامي سواء من ناحية الأفعال أو الأقوال.

ومرة أخرى صورة تناصية من القرآن الكريم في قوله :

أُدْعُوهُ يُقبِلُنِي فِي المُخْلِصِـيْنَ لَهُ مِنْ اسْتَـقَامُوا وقَالُوا: رَبُّنا اللهُ [3]

تناص مع قوله عز وجل:

---

[1] يوسف القرضاوي ،نفحات ولفحات ،ص 86.

[2] سورة البقرة، الآية 148.

[3] يوسف القرضاوي ،نفحات ولفحات ،ص 88.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠﴾[1]

هنّا المعنى أخذه الشاعر من قول الله عز وجل وقول الشاعر في الاستقامة والسعي لطلب الجنة، فمن استمسك بالله عز وجل واتبع ما أمرنا به وابتعد عن كل ما نهانا عنه فلن يظل طريقه و سيظفر بجنات النّعيم، لأنّهم بعد موتهم تتنزّل عليهم الملائكة تبشرهم أن لا يحزنوا على ما تركوه ورائهم ولا يخافوا ويبشروا بالجنات الخلد التى فيها ما لم تراه عين من خيرات، لجأ الشاعر إلى استحضار هذا النص الغائب كما هو مع التأخير والتقديم في التركيب حتى يخدم تجربته الشعرية، ومن دلالاته حث الناس على اعتصام بحبل الله و الاستقامة والثبات حتى الفوز بالمراتب العليا ونجد فيه نوع من التهويل المعنوي حتى يحي نفوس المغفلة عن طاعة الله عز وجل ليلتحقوا بقطار الاستقامة الذي ينتهي مطافه إلى الجنة.

نجد في قوله:

وقُلتُ:رَبِّ اهْدُهُمْ للحَقِ واهْدِ بِهُمْ و اجْعَـهُموا للهُدى جُندًا و أعْوانًا

وَمَنْ تَكُنْ بِرَسُول الله أســـوَتُهُ كَانَتْ خَلائِقُهُ رَوحـــًا و رَيحـانًا[2]

تناص مع قوله عز وجل:

﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾[3]

[1] سورة فصلت، الآية 30.

[2] يوسف القرضاوي ،نفحات ولفحات ،ص 31.

[3] سورة الأحزاب، الآية 21.

الشاعر هنا نظم القصيدة يدعم فيها إخوانه بطنطا، حيث يدعو الله عز وجل أن يسدد خطاهم و يجندوا أنفسهم من أجل نصرة الحق، مهتدون في ذلك برسول صلى الله عليه وسلم و يتعالق مع قوله عز وجل في (رسول الله أسوة حسنة) و استحضار جزئي للآية الكريمة وبعض دوالها لأن الله عز وجل يدعونا لاقتداء بخير الأنام وسير على خطاه توحي دلالات هذا الاستحضار على الجانب الديني للشاعر وقوة إيمانه، ذلك كون لشاعر داعية و تطلعه على القرآن و تفاسيره و سير الصحابة و المرسلين، و أخذ معاني القرآن و أفكاره و اكتست أشعاره كافة بحلة من تلك النفخات القرآنية فلا عجب أن يكون هذا الامام كلامه كله نفح طيب من القرآن الكريم.

استقى أيضا ألفاظ من القرآن الكريم فجاء حضورها عفوي لم يبالغ في ذلك منها ما جاءت في قوله:

يَا قَومِ قَدْ أَيَّدَ التَارِيْخُ حـــــجَّتَنَا وَحَصْحَصَ الحَقُّ للمُسْتَبْصِرُ الآنَا [1]

استحضر الشاعر قول الله عز وجل:

﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [2]

استحضار من قوله تعالى (حصحص الحق) وهنا صورة يوسف عندما اتهمته امرأة عزيز أنه أراد بها الفاحشة فألبسته التهمة، لكن الله نصره فتبين الحق وانكشف بعد كل محاولات امرأة عزيز، فارتكز الشاعر على هذا النص فخدمه في بناء نصه الذي يحث

[1] يوسف القرضاوي ،نفحات ولفحات ،ص 37.

[2] سورة يوسف، الآية 51.

فيه أهل وطنه بأن التاريخ يشهد والأقلام تدون حتى يظهر الحق، الدلالات المستوحاة أن كلمة الحق تبقى هي العليا حتى لو طال الزمن، أيضا عدم السكوت عن الحق والظلم مهما كان الظالم فالحق لن يدفن.

نجد ايضا في قوله :

فَي نَفْـــــــسِهِ ودِمَائُهُ:((أَنَا رَبُكُم)) لاَ تَجـــــعَلُوا رَبًّا لَكُمْ مِنْ دُونِي![1]

استحضر الشاعر من قوله الله عز وجل (أَنَا رَبُكُم) التى جاء في قوله:

﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾[2]

استدعى الشاعر ما قاله فرعون عندما استكبر وطغى فلم يفلح بعد قوله لا في الدنيا ولا الآخرة ،حيث استوحى الشاعر صور رئيس السجن الحربي بمصر كأنه يتقمس شخصية فرعون و يجعل المعتقلين تحت وطأته ويفعلوا ما يأمرهم به وأن يطيعوه ولا يعصوا له أمر، فراح الشاعر يسرد لنا أحداث السجن الحربي وبشاعة التعذيب،ومن الدلالات المستوحاة تجبّر الطّغاة و طغيانهم، ونحت منحى آخر ذا بعد ديني أن الله واحد ولا رب فوقه.

بعدما قمنا بكشف عن الصورة التناصية التى استقها الشاعر من القرآن الكريم التى جعل منها متنفسا لبث تجربته الشعرية ،فهناك آيات استقى منها المعنى و أخرى اقتطفها معنا ومضمونا حيث (يعد المرروث الديني أحد أهم المصادر الإلهام التى يمتاح منها الشاعر الحديث، ذلك لأن هذا الموروث غنّي برموزه و إيحاءاته و دلالاته وروحانياته العالية المتوائمة مع الروح الوثابة للشاعر)[3]

---

[1] يوسف القرضاوي ،نفحات ولفحات ،ص 56.

[2] سورة النازعات، الآية 24.

[3] عمر العامري ،قراءة في ديوان حارس المعنى لأحمد الخطيب ،مجلة الأفكار، عمان، الأردن ،العدد 727،أيلول 2011،ص 95.

2_ التناص مع الحديث النبوي:

هو كل (ما نسب إلى النبّي صلى الله عليه وسلم من قولٍ، أو فعلٍ، أو تقريرٍ أو وصفةٍ فكل ما أضيف إلى النبّي صلى الله عليه وسلم يسمى من ناحية الشكلية حديثا ،بغّض النّظر عن قوّته ،سواءً كان قويًا أو ضعيفا)[1]

وهو المصدر الثاني للتشريع الاسلامي بعد القرآن الكريم، كما جاء مقيدا به وقد تميز بجمال اللّفظ و قوة معنّى و التعبير، ذلك لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أفصح خلق الله، لذا نجد الشعراء قد نهلوا أيضا من الحديث الشريف، و يوسف القرضاوي واحد من هؤلاء الشعراء الذين لجوء إلى توظيف الأحاديث المأثورة على خير خلق الله محمد عليه صلاة والسلام سواءً جاء هذا التناص من النّاحية اللفظ أو المعنى.

نجد تعالق نصي في قوله:

كَمْ بِتُّ لَيْلِـــي كُلَّهُ مُتَثَـــــاقِلاً وَذَوو التُقى حَولِي قِيَـــــام رُكَـــع

كَمْ بَالَ فِيْ أُذُنَيَّ شَيْـــطَان الكَرى فإِذَا الصـــــبَاح عَلَى نَؤُوم يَطْـلَع[2]

هنا نجد مع قول صلى الله عليه وسلم :

« رَجُلٌ نَامَ لَيْلَةً حَتَّى أَصْبَحَ، قَالَ:ذَّاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَيْطَانُ فِي أُذُنَيْهِ»[3]

عمد الشاعر إلى اجترار النص الغائب كما هو، فنجده يحثنا على الذي نام اللّيل ولم يستيقظ للصلاة، لأن الشّيطان سدّ أذنيه حتى لا يسمع الذكر فأثقل سمعه ببوله وأخص البول لأنه سريع التسرب فيتوغل في جسم النائم ويتكاسل جسمه ولا ينهض لأداء صلاته

---

[1] شرف القضاة، المنهاج الحديث في علوم الحديث، الأكاديميون لنشر والتوزيع عمان، الأردن، ط 1، 2009، ص 16.

[2] يوسف القرضاوي ،نفحات ولفحات،ص 73.

[3] الإمام مسلم، صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح، ص 351.

ومن دلالات التى اضفاها النص الغائب على النص الشعري عدم تغافل عن أهمية على الصلاة وإعطاءها الأولية في حياتنا، و الحرص على أدائها في أوقاتها بعيدا عن التكاسل والخمول، كونها أول شيء يحاسب عليه المرء يوم الحساب.

ونجد أيضا استدعاء نص غائب في قوله:

أَنَا عَائِذٌ لِحِمَاكَ ،فَاقْبَلْنِي عَلَى مَا بِي ،وإِنْ تَقْبَلْ فَمنْ ذَا يَرْفُضُ؟

آتِينِي القُرآنَ ،فَانْفِعْنِـــــــي بِهِ وَ أَقِمْ بِهِ لِي حجَّةً لا تُدْحَــضُ[1]

هنا تناص امتصاصي مع قول الرسول صلى الله عليه وسلم:

«القُرآنُ حُجَّةٌ لَكَ لاَ عَلَيْكَ »[2]

الشيخ هنا امتص جزء من الحديث الشريف وأبقى المعنى كما هو حيث الشاعر يشير إلى فضل القرآن على قارئه، فهو ينتفع به ويتعلم منه كل ما يحتاج في حياته ،كما أنه يربي النفوس على القيم الحسنة ويأتي شفيعا لصاحبه في يوم الحساب، و ينير له ظلمة قبره هذا ما نص عليه الحديث أيضا لذا علينا أن نجعله حجة لنا لا علينا، و ننير به الجوانب المظلمة في حياتنا ولأن تدبر في كتاب الله يفتح ألف باب ونبحر في نور لا تنطفئ شعلته، أما عندما يأتى حجة علينا ذلك لجهلنا لأمور نفعلها وهو نهى عنها من دلالات استحضار الشاعر لهذا النص الغائب هو علينا تدبر القرآن الكريم ومداومة على قراءته و الانتفاع به.

و يقع نظرنا مرة أخرى على صورة تناصية في قوله:

و أَنْتُمِ الـــــقَوْمَ لاَ يَشْـــقَى وَمَنْ شَفَــعْتُمْ لَهَ يـُكْرِمُهُ مَوْلاَهْ[3]

---

[1] يوسف القرضاوي ،نفحات ولفحات،ص 77.

[2] الإمام مسلم ،صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، ت :نظم بن محمد الفرابي أبو قنيبة، دار طيبة، د ط 2006 ،ص 121.

[3] يوسف القرضاوي ،نفحات ولفحات،ص 88.

هنا نجد تناص مع قول النبي صلى الله عليه وسلم :

«هُمْ القَوْمُ لاَ يَشْقَى بِهُمْ جَلِيْسُهُمْ»[1]

لقد اجترى الشاعر ألفاظ الحديث الشريف و معانيه، فكلا من النصين حثا على مجالسة أهل الذكر لأن المجالس التى يذكر فيها الله عز وجل لا يشقى أصحابها، و مجالسة الأخيار سبب من أسباب العفو و جعلهم يسعدون سعادة لا شقاء فيها، وتنزل الرحمة والبركة على مجلسهم و تعم الحاضرين جميعا توحي دلالات إلى فضل مجالس الذكر والاجتماع على ذلك، و فضل الذاكرين على جليسهم.

مرة أخرى نتصادف مع استحضار لنص غائب في قوله:

مَنْ اهْتَدَى بِهُدَى الأَخْيـــــــار كَانَ عَلَى

خـــــــيْرٍ، وَســـارَ وعَـــــــيْنُ اللّهِ تَرْعَاهْ

وَمَنْ مَشى خَلـــــفَ رَكْبِ السُوءِ ضَاعَ كَمَ

ضَاعُوا وَتَاهَ بَعـــــيْدًا مِثْـــــــــلَمَا تَاهُوا[2]

نلاحظ وجود تناص مع قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

«إنَّمَا مَثَلُ الجَلِيْسِ الصَالِحِ و جَلِيْسِ السُوءِ، كَحَامِلِ المِسْكِ ونَافِخِ الكِيْرِ ،فَحَامِلِ المِسْكِ إِمَا أَنْ يُحَذِيْكَ ،وإِمَا أَنْ يَبْتَاعَ مِنْهُ وأَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيْحًا طَيْبَةٍ ونَافِخِ الكِيْرِ أَمَّا أَنْ يَحْرِقَ ثِيَابِكَ وإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيْحًا خَبِيْثَة»[3]

عندما تأملنا هاته الأبيات لاحظنا أن الشيخ يوسف القرضاوي استقى المعنى من الحديث

---

[1] الإمام مسلم، صحيح مسلم، باب كتاب الذكر و الدعاء و التوبة والاستغفار، باب فضل مجالس الذكر، ص 1239.

[2] يوسف القرضاوي، نفحات ولفحات،ص 86.

[3] الإمام مسلم ،صحيح مسلم، كتاب البر والصلة و الآداب، باب استحباب مجالسة الصالحين و مجانبة قرناء السوء ،م 1، ص 1215.

الشريف فاشتغل عليه من خلال امتصاصه لمعنى، ليحذرنا من رفقاء السوء وأن نحسن الاختيار لأن الصحبة الطيبة لا نجني منها الأخلاق الكريمة والمعاملة الحسنة، أما رفقاء السوء لا نجني منهم سوى الخروج عن مكارم الأخلاق ونصبح منبوذين من طرف المجتمع لما نتصف به من صفات سيئة، لذا علينا أن نحسن قطف خيرة الأصحاب، فنعم الجليس الصالح الذي يكون سبب في الفوز برضى الله عز وجل، ودلالات التى استقيناها الحرص على مجالسة صالحين.

بعدما تتبعنا صور التناص التى اشتغل عليها الشاعر نجد أن الحديث الشريف جاءت صوره قليلة مقارنة مع القرآن الكريم.

3_ التناص مع الشخصيات الدينية:

الشاعر يوسف القرضاوي لجأ الى توظيف الشخصيات التراثية لأن (الشخصية في الشعر تكون محور العمل الشعري أو القصيدة الشعرية يستلهم الشاعر جوانب من تجربتها ليعبر بها عن تجربة حية يحيها، وقد تكون الشخصية ثانوية ولكن استحضارها يعين الشاعر على تجليته فكرة يؤمن بها فيطرحها أو تأييد برهان على موقف يعبر عن مبدئه)[1] و هاته شخصيات سواء كانت إيجابية أو سلبية منها الأنبياء والرسل والصحابة والمجاهدين هذا دليل على أن الشاعر متطلع على تاريخ الإسلامي وتاريخ الامم التى مستها الحروب فوجدها أنها تخدم تجربته الشعرية فأسقطها على الواقع الذي تعيشه الامم من أبناء الأمة الإسلامية و بخاصة وطنه مصر الذي عانى من ظلم المستبدين والطغاة الجبابرة وإلى جانها فلسطين التى مازالت تتزف وتستغيث أبناء العرب ليخلصها من قبضة الغاشم المستبد من الشخصيات التى جاءت في شعر يوسف القرضاوي نجد:

شخصية "**سيدنا يوسف عليه السلام**" وقد أورده في عدة مواضع منها في قوله:

[1] نزار عبشي، التناص في شعر سليمان العيسى، رسالة ماجستي، كلية الآداب و العلوم الانسانية، جامعة البعث 2005، ص 224.

وَانظُرْ لِيُـــــوسَفَ إِذْ عَادَاه إِخْوتهُ فَجـــــــرَعُوهُ مِنَ الإِيذَاءِ أَلْوانَا [1]

في هذا البيت يدعو الشاعر أبناء شعبه أن يستمروا في نصرة الدين الإسلامي و متابعة مسيرتهم في دفاع عنهم، أن لا يسكتوا على ظالم ولا يكترثوا لبشاعة ظلم فاستحضر شخصية يوسف و دعاهم أن يستمد منه القوة والصبر على الظلم لأنهم يعانونا نفس معاناة التى عاشها يوسف عليه، راحوا ضحية غدر ذنبهم الوحيد دفاع عن الإسلام محاولا بث فيهم تحلى بصبر وعدم الاستسلام .

و أيضا في قوله :

يَا رَبِّ كَمْ يُوسَفَ فـــــيْنَا نَقِيِّ يَدٍ دَانُوهُ بِالسِـــجْنَ والقَاضِي هُو الجَانِي! [2]

الشاعر هنا يدعوا الله ان يرأف لحالهم ،محاولا زعزعت مشاعر المتلقي والقارئ من أبناء الوطن العربي، ويحرك فيهم مشاعر الحزن والشعور بالظلم والاستبداد، فلجأ إلى اسقاط المحن التى مر بها النبي يوسف وتعددها وتعاقبها عليه أكدها باستعمال (كم) الخبرية لدلالة على كثرتها أما المحن التى مر بها أبناء وطنه هو القاضي المذنب الوحيد في ثباتها وتأكيدها على الأبرياء متعمد ذلك في إصدار الحكم عليهم بدون جريمة.

أيضا في قوله :

وَلَنَا بِيُوسَفَ أَسْوة فِي صـــــبْرِهِ وقَدْ إِرتَمى فِي الســـــجْنِ بِضْعَ سِنِينَ [3]

هنا يوجه خطاب لإخوته المسلمين ،أن النّصر لن يأتي إلا بعد الصبر فلا نرضخ للظالم و نطأطئ رؤوسنا خوفا منه فعلينا أن نرفع الهامة عاليا مقتدون بذلك بصر نبينا يوسف عليه السلام الذي رمي في السجن ظلم لسنين عدة، و أنعم الله عليه بنعمة الصبر حتى أفرج عليه كربته هنا يمكن أن نلتمس نزعة التفاؤل عند الشاعر ويحاول بثها في نفوس

[1] يوسف القرضاوي، نفحات ولفحات، ص 31.

[2] يوسف القرضاوي، نفحات ولفحات، ص 33.

[3] المصدر نفسه، ص 58.

إخوانه المعتقلين معه لأنه لابد من تفرج الكربة وكشف الغمة، و الدلالة التى وصلنا إليها من خلال هذا الاستدعاء هي تشابه محنة سيدنا يوسف عليه وسلم مع محنة أهل مصر من معتقلين والثوار الذين راحوا ضحية الغدر والظلم، متمسكين بالله بأنه سينصرهم كما نصر نبينا يوسف.

ثاني شخصية صادفتنا شخصية خاتم الأنبياء "**محمد صلى الله عليه وسلم**" و قد جاءت في مواطن عدة في قصائده هذا دليل على حبه الشديد لرسول صلى الله عليه وسلم ونجد ذلك في قوله:

وَ انْعَم بِلُقـــــــيَاكَ الرَسُول مُحَمدًا وبِوجْهِ رَبِّكَ رَاضِيـــــــــًا مَقْبُولاً[1]

أيضا في قوله :

إنْ لَمْ يُصـــلِّ عَلَيَّ فِي الأَرْضِ امْرؤُ حَسْبِيَ صـــــــــــلاَتُهُمُو بِعلِيين

أَنَا بِجوارِ الُمصـــــــطَفَى وَ صِحَابِهِ أَحْظَى بِأَجْرٍ ليسَ بِالمَـــــــــنُون[2]

الشاعر هنا يستدعي شخصية "الرسول صلى الله عليه وسلم " بأنه إن استشهد في سبيل وطنه و دفاعه عنه وعن سيادة الإسلام، ولم يعطوهم جثته لكي يصلوا عليه صلاة الجنازة فإنه سيرزق بصلاة في العليين وسيحشر بجوار المصطفى، لأن الشهداء ليسوا بأموات وبل أحياء في جنّات الخلد ينعمون بالخيرات، و أعظم ما فيها أنهم بجانب الرسول صلى الله عليه خير خلق الله.

كذلك في قوله:

و عَزاؤُنَا أَنَ الـــــنَّبِي ـفَدَيتُه بِأَبِي و أُمـــــــــــــِي ـ كُم رُمِيَ بِطُعُونْ

مِن سَاحِرٍ حـــــــيًّا، لبَّاغٍ مُفْتَّرِ أو كاهن، أو شَاعِرٌ مَجـــــــــــنُونْ

[1] يوسف القرضاوي، نفحات ولفحات، ص 39.

[2] المصدر نفسه، ص 48 ،49.

قَالُوا كَذَابًا:دَعْوةٌ رَجـــــْعِيَّةٌ معزولة عن قرنها العـــــــــشرين[1]

استدعى الشيخ يوسف القرضاوي شخصية "الرسول صلى الله عليه وسلم" ليثبت لنا حبه الشديد له، و خير دليلا على حبه أنه فداه أبيه وأمه، لأنهم رأى أن التاريخ يعيد نفسه في بلاده مصر إبّان دخول الصهيون و فرض سيطرته محاولين تدنيس الإسلام و تضليل الناس عن الدين الإسلامي وانساب التهم الملفقة لرسول صلى الله عليه، كما فعلوا أهل مكة معه عندما كان يبلغ رسالته و يدعوا للإسلام، كما أنه يصرخ ويندد أن الشعب المصري يرى أن لا دين غير الإسلام، وأن شرع الله هو شرع نبينا محمد عليه الصلاة والسلام.

استدعى كل من نبي يونس و نوح وإبراهيم عليهم السلام في قوله:

يَا مَنْ أَجَبـــــْتَ دُعَاءَ نُوحَ:((فَنْتَصِر)) وَحَمَلْتَهُ فِي فُلـــــــــكِ المَشْحُون

يَا مَنْ أَحَالَ النَّارَ حولَ خَلَـــــــــــــيْلِهِ رَوحًا و رَيْحَانًا بِقَـــــولِكَ: ((كُونِي))

يَا مَنْ أَمَرْتَ الـــــــــحُوتَ يَلْفَظُ يُونَسًا و سَتَرْتُهُ بِشـــــُجَيْرَةِ الـــــــيَقْطِيْن[2]

استحضر الشاعر في هذا المقطع الشعري الأنبياء كل من نوح عليه السلام "والنبي "يونس عليه السلام "و "إبراهيم عليه السلام" الذين صبروا على آذى قومهم ،ولم يعرفوا للهزيمة والفشل طعم، و زادهم في ذلك الدعاء والتضرع للخالق عز وجل بأن ينصرهم و يعينهم على تبليغ الدعوة، هذا ما أراد يوسف من أبناء أمته أن يفعلوه أن لا يفشلوا و لا يعودوا على أدراجهم حتى يتمكن من استرجاع سيادتهم المسلوبة وحقوقهم المغتصبة من طرف الصهيون الغاشم الذي استهان بضعفهم وقلة اليد المساعدة والمتمكنة الذي نسي أن الله بصير بعباده، دلالة هذا الاستحضار أن الله يجيب دعوة المظلوم و يمنحه النصر جزاءا لصبره .

[1] يوسف القرضاوي،نفحات ولفحات،ص 57.

[2] المصدر نفسه، ص 59.

إلى جانب الاستدعاء الرسل و الأنبياء استدعاء أيضا الخلفاء الراشدين والذين ساندوا الأنبياء في إكمال مسيرتهم لكي تعم الدعوة الإسلامية كل أقطاب العالم من هؤلاء الرجال الذين كانوا حول الأنبياء والرسل نجد الذين استدعاهم في قول:

فَمَن يُدَانِي أَبَا حَفْصٍ و صاحِبُهُ؟ وَمَن يُدَانِي عَلِيّاً و ابْنَ عَفَّانَ؟[1]

هؤلاء الخلفاء الراشدين كان لهم دورا كبيرا في مساندة الأنبياء والرسل في

استمرار حركة الدعوة الإسلامية فقد كان لهم فضل كبيرا في ذلك فاستدعاهم الشاعر في قصيدته "مناجاة في ليلة القدر" ليبين فضل القرآن في تربية الجيل الأول، الذي ضحى بالغالي ونفيس في سبيل الدعوة الإسلامية محاولا بذلك بث روح الغيرة في نفوس هؤلاء المعتقلين لكي يسيروا على خطى هؤلاء الرجال و يكملوا مسيرتهم في دفاع عن الدين الإسلامي.

أيضا استدعي شخصية "أبي بكر الصديق" في قوله:

يَرْضَى النَّبِي أَبَا بَكْرٍ لِدِيْنِـــــهُمُو فَيــغْلِنِ الجَمْعُ : نَرْضَاهُ لِدِنَيانَا[2]

وأيضا في قوله :

مَا مِن (أبي بكر) يــــــــــــؤَدْ بِهِمْ و يَكـــــــبَحُ مِن جِمَاحَ[3]

كما نرى في هذا البيت أن الشاعر استحضر شخصية أبي بكر الصديق أحد الصحابة الذين كانوا بجانب الرسول صلى الله عليه وكان يسير على خطوى عليه السلام والسلام فكان يسانده في أيام البعثة حين اعتزله الجميع فتشتت الناس من حوله، وكذبوا كلامه و كل ما جاء به، فثارت الحرب من أجل الرئاسة والزعامة و كسب المال والجاه وكل سعى لجمع الناس من حوله، و أبي بكر الصديق فأبى إلا أن يسخر نفسه لنبي صلى الله

[1] يوسف الفقرضاوي، نفحات و لفحات،ص 33.

[2] المصدر نفسه، ص 36.

[3] المصدر نفسه،ص 82.

عليه و نصرته وكان من جنود الحركة الإسلامية والاستحضار هذا جاء به الشاعر ليبين لنا بأن زمن النبيي صلى الله عليه وسلم، يعيد نفسه مع فلسطين، لكن الدلالة تختلف فالشاعر يريد أن يوضح لنّا بأن الرسول صلى الله عليه وسلم وجد من يساند و يقف إلى جانبه عكس فلسطين التى تصرخ ليلا و نهار لكن لا جدوى من تلك الصرخات لأنها لم يقفوا جانبها.

أيضا استدعى شخصية "عمر بن خطاب رضي الله" عنه في قوله:

أَبْكِي فَتَى صَـــــــــلْبًا تَكَادُ تَخَالُهُ عُـــــــــمْرًا، يُخِيْفُ ولاَ يَخَافْ[1]

استدعى الشاعر شخصية عمر بن الخطاب عندما أنشد القصيدة يرثي فيها أخاه المجاهد زكي الدين أبو طه الذي شبهه الشاعر بالفاروق الذي كان مخلصا لنبي صلى الله عليه وسلم و كما أنه من أقرب الصحابة إليه واشتهر بعدله، تهابه الناس لهيبته ولا يخاف الصعاب، فوجد في المجاهد زكي الدين خصالا من الفاروق الذي كان من الدعاة المخلصين بذل الكثير من أجل دعوة الناس لدفاع عن الإسلام كما أنه عرف بصبره على الأذى والعذاب الذي تلقاه في السجن لكنه بقى على وعده وعهد لنصر الاسلام إلى أن وافته المنية، و دلالة هذا الاستحضار هو الاقتداء بمن سبقونا و كسب منهم الخصال الفضيلة.

إلى جانب الخلفاء الراشدين استدعى الشاعر شخصية أسهمت في دعوة الإسلامية، فقد كان فيها الضعيف والقوى والفقير والغنّي، لأن الدين الإسلامي لا يفرق بين العربي والأعجمي ولا بين الأبيض والأسود بطبيعة الحال كلنا من آدم و حواء، وكلنا خلقنا من طين، ومن هؤلاء الرجال الذي جندوا أنفسهم في سبيل الدعوة الإسلامية هذا ما جعله يستدعي شخصية بلال الحبشي و هو (هو بلال بن رباح مولى أبي بكر الصديق وهو مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم من السابقين الذين عذبوا في الله، شهد بدراً

[1] يوسف القرضاوي ،نفحات ولفحات ،ص 38.

وشهد له النبي صلى الله عليه و سلم على تعيين بالجنة)[1] وعمار بن ياسر هو(عمار بن ياسر الإمام الكبير أبو اليقظان العنسيّ المكيّ أحد السابقين الأولين و الأعيان البدريين)[2] وسلمان الفارسي هو(سلمان ابن الإسلام أبو عبد الله الفارسي سابق الفرس الى الاسلام صحب النبي صلى الله عليه وحدّث عنه)[3] استدعاء هؤلاء الرجال الذين كانوا حول الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله:

أَعْطُوا ضَرِيْبَتِهِمْ صَبْـــرًا عَلَى مِحَنِ صاغت بلالاً وعَمَّارًا و ســـــــلْمَانًا

عَاشُوا عَلَى الحـــــــبِّ أَفواهًا و أَفئ بَاتُوا عَلَى البُؤسِ والنَّعـــْمَاءِ إِخْوانًا[4]

أيضا في قوله :

أَمْسَـــــــــى بِلالٌ بِهِ مِن ذِلّة مَلِكًا و صَارَ سَلــمانُ شَيْئًا غَيْرَ سلمان [5]

في هذا المقطع الشعري يثني الشاعر جنود الحركة الإسلامية سواء الأقوياء أو الضعفاء الذين جندوا أنفسهم للدفاع عن الدين الاسلامي متحدين كل من وقف في طريقهم، و لتأكيد ذلك لجأ الشاعر إلى تكرار (أعطوا ضريبتهم)ليؤكد لنا مجهوداتهم التى بذلوها في سبيل استمرار الدعوة الإسلامية وصبرهم على محن رغما تعاقبها عليهم إلا أنهم حملوها على أعتاقهم ولم تكسر همم و شيمهم التى عرفوا بها، و نجد الشاعر من خلال هذا الاستحضار أنه لو أسقطنها على واقع الدعوة الإسلامية في حاضرنا لا تحقق ما تحقق بأمس.

---

[1] سعد يوسف أبو عزيز، رجال ونساء حول الرسول صلى الله عليه وسلم، دار الفجر للتراث لنشر والتوزيع، القاهرة مصر، ط 1،1999.ص 173.

[2] المرجع نفسه، ص 239

[3] المرجع نفسه، ص 244.

[4] يوسف القرضاوي، نفحات ولفحات،ص 36.

[5] المصدر نفسه، ص 32.

إلى جانب هذه الشخصيات التى كان لها أثر إيجابي في مسار الدعوة الاسلامية كانت هناك شخصيات سلبية وقفت أمامها و جعلت من أنفسها حفرًا تعرقل من يسعوا لإيصال الدعوة الإسلامية من هذه الشخصيات نجد في قوله :

مَا زَالَ فِينَا أُلُوفَ مِن أَبِي لَهـــــــــــــبِ

يُؤْذُونَ أَهْلَ الهـــــــــــــــدَى بَغْيًا و نُكْرًا

مَازَالَ لابن سَلُولَ شـــــــــــيعَة كَثُرُوا

أَضْحَى النِّـــــــــــفاقَ لَهُم وِسَمًا وعُنواناً [1]

كلنا نعرف شخصية أبو لهب(بأنه كان أول من أظهر عداوته للإسلام وللرسول محمد صلى الله عليه وسلم، لم يكتفي بمعارضته للإسلام بل أكد عليها بالعمل حيث جند الكثير من الناس لإلحاق الضرر به وبالدعوة الإسلامية)[2] أما بخصوص "عبد الله بن أبي بن سلول"(فهو شخصية صاحبة الامتياز في إخراج ظاهرة النفاق إلى الوجود، وهو زعيم وعميد آل سلول عاش قديما قبل مجيء الإسلام في المدينة المنور وهو شخصية من الشخصيا التى ذكرها التاريخ الإسلامي وكان زعيم من زعماء قبيلة الخزرج في يثرب ،وبعد وصول الرسول صلى الله عليه وسلم إلى مدينة المنور مهاجرا دخل عبد الله بن سلول الاسلام ظاهريا أما باطنا فكان يكفر بالدسن الاسلامي و سمي بكبير المنافقين وهو حاقد على التبي صلى الله عليه وسلم ،لأنه لولا قدوم النبي إلى المدينة كان سيصبح زعيمها و حاكمها)[3]

استدعاء الشاعر كلا شخصيتين "أبي لهب" ذلك ليبين رغم القرابة بينه وبين الرسول صلى الله عليه وسلم، كان ظالما له وتعرض لظلم شديد منه ودلالى هذا استحضار بأن

---

[1] يوسف القرضاوي ،نفحات ولفحات،ص 36.

[2] صابرين السعو، أبو لهب عم الرسول، www.mawdoo3.com ،08_04_2018 ،12:41.

[3] سلمان البداوي، من هم آل فرعون، www.mawdoo3.com، 04_ 05_ 2018، 15:55

المسلمين يلدغون من طرف اخوانهم المسلمين يتقمصون دور المحبين في ظاهر و لكن حقيقة غير ذلك ويسقط صورة أبي لهب على هؤلاء الذين هم عصرنا يعترضون طريق الدعوة الإسلامية وأن أبي لهب ذهب ومازال خلفاءه فينا.

أما "ابن سلول" استحضره لسقط صورته على حاكمنا لأنهم يسعونا للملكية غير مبالين بأبناء وطنهم ،يتصفون بطمع والشجع هذا ما كان يتصف به ابن سلول لأنه كان يسعي للملكية والجّاه و كان يسعى لمصالحه الذاتية دلالة هذا الاستحضار ليوضح من خلاله أن حكامنا يفتقدون للإخلاص والصدق أهم الصفات التى يجب أن يتحلى بها الحاكم.

لقد كان استدعاء الشخصيات في ديوان "نفحات ولفخات" واضح وبشكل ،وذلك لما قدمته و مجهودات لاستمرار الدعوة الإسلامية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم سواء كانت هذه الشخصيات ايجابية أو سلبية، ليسقطها على حال الدعوة الإسلامية في واقعنا الأليم الذي يفتقر إلى أمثال هؤلاء الرجال الذين قدموا أنفسهم من أجل توحيد كلمة الإسلام، وهذا يدل على إعجاب الشاعر بهاته الشخصيات و تأثره بهم وكأنه يتمنى عودتهم ليفعلوا ما عجزوا عنه رجال اليوم.

الفصـــــــــــــــــــل الثالث

التنـــــــــاص الأدبي

1 _ التـــــــــــــناص مع الشعر

2 _ التـــــــــــــناص مع المثل

3 _ التناص مع الشخصيات الأدبية

لقد مسّ التناص جلّ فنّون الأدب العربي شعرًا ونثرًا سواء أكان قديما أو حديثا ويتجلى ذلك من خلال استدعاء النصوص الغائبة بغرض النسج عليها لإثراء التجربة الإبداعية لدى الأدباء، ومن النصوص التى يستحضرها الشاعر يوسف القرضاوي نجد:

1 _ التناص مع الشعر:

عادة ما يلجأ الشعراء المعاصرين إلى محاورة الشعراء القدماء أو أبناء عصرهم و الأخذ منهم، فالشاعر عندما يكون في مرحلة النّظم قد تتبادر في ذّهنه أبيات يحفظها حتى ولو شطرًا من بيت فيضمنه لقصيده وعليه تتولد ظاهرة التناص، وهكذا يثري به نصه الشعري، ويصبح ذا تأثير عميق في المتلقى، ونجد "يوسف القرضاوي" قد طعم قصائده نصوصا غائبة لشعراء عدة وهذا يدل على سعة إطلاع يوسف القرضاوي على الشعر القديم الذي وجد فيه معانٍ متعددة ينّهل منّها دلالات مختلفة (وليس من المستغرب أن تكون ينّابيع أدبنا القديم منهلاً عذبًا يجد شعراؤنا المعاصرين لذّة في ورودها و ارتشاف صفائها أو الاغتراف من تدفقها ولا يتوقف جريانه)[1]

ومن أمثلة ذلك نجد في قوله :

باسم الفِرَاخِ الزُّغَبِ هَيضَ جَنَّاحُهُمْ فَقَدُوا الأَبْ الـجَانِّـيْ بِغَيْرِ مَنُونْ

بِدُمُوعِ أَمٍّ رُوعُوهَا فِي إِبْـــــنِهَا وبِكُلِّ دَمْعٍ فِي العُـيُونِ سَخِينِ [2]

نجد تناصًا مع أبيات "الحطيئة " يقول فيها:

[1] نزار عيشي ،التناص في شعر سليمان العبسي ،رسالة ماجستير ،كلية الآداب و العلوم الإنسانية ،الأردن ،جامعة البعث ،2005،ص 133.

[2] يوسف القرضاوي نفحات ولفحات ،ص 59.

مَاذَا تَـــــــــقُولُ لِأَفْــرَاخٍ بِذِي مَرَخٍ

زُغَبُ الحَوَاصِـلِ لاَ مَاءٌ ولاَ شَـــــــــــــجَرُ

أَلْقَيْتَ كَاسِبـــــــــــهُمْ فِي قُعْرِ مُظْلِمَةٍ

فَاغْفِرْ عَلَـــــــــــيْكَ ســـــلاَمَ الله يَا عُمَرُ [1]

يرسم لنا الشاعر في أبياته حال مصر التى تخلى عنها أبناء الأمة العربية لم يمدّوا لها يد المساعدة ليخرجوها من الوحل الذي أثقل كاهلها وضيق عليها الحصار، لا معين ولا مساعدة في محنتها والأزمة التى وقعت فيها ،فحاور يوسف القرضاوي أبيات الحطيئة فستحضرا المعنى و أعاد كتابة النص الغائب في سياق مختلف التى ألقها الحطيئة على مسمع عمر بن خطاب رضى الله عنه ليلتمس منه العفو عندما زّج به داخل السجن تاركا وراءه أبناءه بدون عون ولا معين، هو حال مصر التى تركت بدون مساعدة ومساندة في مأساتها .

تناص آخر في قوله:

قَدْ عِـــــشْتَ حَقًّا لِأَمْرِ لاَ خَفَاءَ بِهِ و حِكْمَةَ اللهِ تَخـــفَى بَعْـضُ أَحْيَانِ

قَد عِشْتَ لِلنَّصْرِ بِالإِصْرَارِ تَغْرِسُـــــهُ فَتَجْتَـــــــــنِـيْهِ ثِمَـارًا ذَاتَ أَلْوانِ

فَاخْلَعْ عَنْكَ ثِيَابَ الأَسى و اليَأسِ مُرْتَدِيًا ثَوبَ الجـــهَادِ نَشِيْطًا غَيْرَ كَسْلاَن [2]

نجد هنا تناص مع أبيات المهلهل أبن ربيعة يقول فيها :

وَلَسْتُ بِخَالِعَ دِرْعِي و سَيْـــــــفِي إِلَى أَنْ يَخْلَعَ اللَّـــــــــــيْلَ النَّهَارَ

[1] مفيد قمحة، ديوان الحطيئة ،برواية وشرح ابن سكت، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1993، ص 11.

[2] يوسف القرضاوي، نفحات ولفحات ،ص 71.

ولاَ أَنْ تَبِيْدَ سَـــــــــــرَاةَ بِكْرٍ فَلاَ يَبْقـــــــــــــَى لَهَا أَبَدًا آثَار [1]

الشيخ هنا يبث روح العزيمة والجهاد في أبناء مصر، مخاطبا كل الجنود والمجاهدين أن ينزعوا أثواب اليأس و الخوف، وأن يصمدوا في وجه المستعمر المستبد، أن يتمسكوا ببصّيص الأَمل ليرفعوا رايات النّصر و يعم السلام في وطنهم الحبيب مصر أم الدنيا فاستشف أبيات المهلهل ابن ربيعة التى رثى فيها أخيه كليب، الذي وعد أخيه بأنه لن يخلع ذرعه ولن يتخلى عن سيفه حتى يسترجع حق أخيه من قبيلة بكّر، نجده ارتكز الشاعر على صورة كليب فأسقطها على ثوار والمجاهدين من أبناء مصر، نجد هذا الاستحضار جاء موازيا لأبيات "الحطيئة" من خلال المعاني والدوال التى ترمي غليها عدم الرضوخ للظلم و سكوت عن الحق و استرجاعه مهما كلف الأمر.

تناص شعري أيضا في قوله:

و إِنَّمَا هِي الأَقْدَارُ تَصـــــرْفُنَا مَنْ مَسَهُ الضُّرُّ لَمْ تَـــــــحْمِلْهُ رِجْلاَهُ

حَمْدًا لِرَبِي فَلاَ سُـــخْطٌ ولاَ جَزَعُ مَا اخْتَارَهُ مِنْ قَـــــــضَاءٍ قَدْ رَضَيْنَاهُ

وَمَا قَضَاهُ لَنَا فِي طـــــيِهِ نِعَمٌ مِنْهَا عَرَفْنَاهُ، وَمِنـــــــْهَا مَا جَهِلْنَاهُ [2]

جاء تناص مع أبيات الإمام الشافعي قال فيها :

دَعِي الأَيَامَ تَفْعَلِ مَا تَشـــاءُ وَطِبْ نَفْسًا إِذَا حَكَـــــــــــمَ القَضَاءُ

ولاَ تَجْزَعِ لِحَادِثَةُ اللَيَـــــالِي فَمَا لِحَـــــــــــــوادِثِ الدُّنْيَا بَقَاءُ

[1] مهلهل ابن ربيعة ،ديوان ابن ربيعة ،شرح وتقديم ،طلال حرب ،دار العالمية ،بيروت ،لبنان،د ط ،ط ت ،ص 34.

[2] يوسف القرضاوي ،نفحات ولفحات ،ص 85.

و رِزْقُكَ لَيْسَ يَنْقُصُهُ التَّأَنِّي وَ لَيْسَ يَزِيْدَ فِي الرِزْقِ العَنـــــاءُ[1]

استقى يوسف القرضاوي أبياته من قصيد الإمام الشافعي ،فلا عجب إن حاوره لأنهما يتشابهان في التجربة الشعورية، وهنا يحثاننا أن لا نبالي بالأيام التى مضت، وعلينا أن نسير قدما لأن الله عز وجلّ هو الرّزاق ولن يضيع عبده ونشكره على نعمه التى أنعمنا بها، راضين بالقضاء والقدر لأن الجزّع والخوف والسخط لا نجنّي منهم سوى تراكم الهموم و يزيد الطين بّلة و ما وقع حصل لأن عجلة الزمن لن تعود على أدراجها.

أيضا في موقع آخر:

لاَ حَامِلٌ حـــــــــــقْدًا، فَمَا أَشْقَى الـــــحَيَاةَ مَعَ الحـــــقُودِ[2]

تناص مع بيت المقنع الكندي يقول فيه :

ولاَ أَحْمِلُ الحِــقْدَ القَدِيْمَ عَلَيْمُ وَلَيْسَ كَرِيْمُ القــومِ مَنْ يَحْمِلُ الحِقْدَا[3]

استحضر الشاعر بيت "المقنع الكنّدي" فحاوره في الألفاظ والمعنى فالكندي في صدر البيت ينفي عن نفسه صفة الضغينة والحقد اتجاه قومه مؤكدًا ذلك كونه رئيسهم مفتخرًا بذلك، لذا ارتكز يوسف القرضاوي عليه في بناء تجربته الشعرية فنجد هو أيضا ينفي صفة الحقد مؤكد أن الحقود سيشقى في حياته، و أن الإنسان عليه أن يكون صافي السريرة اتجاه إخوانه ليعيش حياة سعيدة، من الدلالات هذا الاستحضار الابتعاد عن الحقد

[1] الإمام الشافعي، ديوان الإمام الشافعي، تح :عمر حافظ سليم سعيدة، دار القدس للنشلر والتوزيع، ط 1 ، 2002، ص 39.

[2] يوسف القرضاوي، نفحات لفحات، ص 66.

[3] أحمد زكي منصور، شعر المقنع الكندي قسم اللغة العربية و الدراسات الإسلامية، كلية التربية، جامعة طنطا ،مصر،2011 ، ص 104.

لأنه من أبشع الصفات التى قد يكتسبها الإنسان فيعم لسواد قلبه و يجعله مريض شقي في حياته.

استدعاء آخر لنص غائب في قوله:

نَسَو مَا بِهِ مِنْ مَـكْرُمَاتٍ فِي أَمَاكِنَـهِ و العُودِ فِي أَرْضِـهِ نَوعٌ مِنَ الحطَبِ [1]

تناص مع قول الإمام الشافعي :

وَالتِبْرُ كَالتُرَابِ مُـــلْقَى فِي أَمَاكِنِهِ و العُودِ فِي الأَرْضِهِ نَوعٌ مِنَ الحَطَبِ

فـــــــإِنَ تـغَرُبَ هَذَا عَزَ مَطـلَبُهُ و إِنَ تَـــغَرُبَ ذَاكَ عَزَّ كَالذَّهـــبِ [2]

حاور"يوسف القرضاوي" أبيات الإمام الشافعي في جملة (التبر وتراب) فالشافعي يحثنا في أبياته على الاغتراب من أجل طلب العلم، بغية التعرف على قيم وعلوم اللأمم المختلفة لنزّع ستر التخلف و الالتحاق بركب الحضارة والتطور لأن المتعلم في مقام و الجاهل في مقام آخر، حال التبر و العود اللّذان رغم اختلافا في قيمة إلا أنهما موجودان على الأرض، أما يوسف القرضاوي يحثنا في هذا البيت على حال الشعراء الذين يأسوا من حالهم وهم غارقين في الهموم رغم أنهم أنعم الله عليهم بموهبة كتابة الشعر، يراهم منعزلون عن المجتمعات غير مبالين بذلك، ورغم جوهر كلماتهم إلا أنهم لا يسمع بهم أحد مثل التبر رغم قيمته إلا أنه ملقى على تراب و اللهب الذي يعلو الفحم لا دخان له، دلالات التى نستوحيها من البيتين الحث على طلب العلم و نفض غبار الجهل والتخلف .

[1] يوسف القرضاوي ،نفحات ولفحات ،ص 41.

[2] الإمام الشافهي ،ديوان الإمام الشافعي ، تقديم: محمد سليم ،مكتبة ابن سينا لنشر والتوزيع ، القاهرة، مصر ، د ط ، د ت، ص 26.

تناص في موضع آخر يقول فيه :

هَلاَ بَعَثْتُمْ شُعَاعًا مِنْ مَسْجِدَكُمْ تَلُوحُ مِنْهُ لَنَا فِي (بُون) أَضْـــــوَاهَ

فَلاَ أَذَانَ ولاَ قُرآنَ نَســـــمَعُهَ و لاَتَرَاوِيْحـــــــــــــــنَا ،واحَرَّ قَلْبَاهُ !! [1]

تناص مع قول المتنبي :

وَحَرَّ قَلْبَاهُ مِمَن قَلْـــبَهُ شَبَمُ و مَن بِجِســـــمِي و حَالِي عِنْدَهُ سَقَمُ

مَالِي أَكْتِّمُ حُبًّا قَدْ يَرَى جَسَدِي و تَدعِي حُبَّ سَيْفَ الدَّولَةِ الأُمـــــــمِ [2]

حاور يوسف القرضاوي أبيات المتنبي التى أنشدها ليعبر عن حبه الشديد لسيف الدولة "الحمداني"، و أن قلبه احترق حبًا و هيامًا بمن لا يحمل حبًا له وغير مبالي به و أنه زاد من مرضه و معانته لأنه لم يسيطر على قلبه ومشاعره، أما يوسف القرضاوي أنشد أبياته التى أدرجها تحت عنوان "رسالة شوق وحنين" يبث فيها شوقه و حنينه لإخوانه في قطر غادرهم لألمانيا للعلاج و ما زاده حرقة افتقاده لأجواء رمضان في الدوحة و إلى أجواء العبادة من الصلاة التراويح و تلاوة القرآن التى تعلو أصداءها في المساجد فاستعملا الشاعران أداة الاستغاثة (وحراه قلباه) لكنهما اختلافا في غاية الأبيات فالمتنبي يستغيث لحاله و ينّدب على حظه ألا و هو حبه للأمير و الأمير يقسو عليه أما الشيخ يوسف القرضاوي يستغيث شوقا لأجواء العبادة ولذّتها في الأيام المباركة في قطر.

ما نلاحظه هنا أن صور التناص مع الشعر في ديوان "نفحات ولفحات" جاء حضورها محتشم، لكنه استقى من الشعر القديم والحديث هذا دليل على أن الشاعر مطلع

[1] يوسف القرضاوي ،نفحات ولفحات ،ص 86.

[2] المتنبي أحمد بن الحسنين ،ديوان المتنبي ،دار بيروت للطباعة ونشر ،بيروت ،لبنان، د ط ،1938،ص 331.

على الشعر لذا استقى من نهر الشعر ما طاب له ليجعله عونا له في نسج تجربته الشعرية.

2_ التناص مع المثل:

جاء في تعريف الأمثال أنها من (أصل ثلاثي "م ث ل" يدل على معنى الشبه و النظير، وذكر أحد الباحثين أن كلمة "لمثل" من المماثلة وهو الشيء المثيل لشيء يشابهه، والشيء الذي يضرب لشيء مثلا، فيجعله مثله والأصل فيه الشبه)[1] و المتعارف عليه أنها أقوال موجزة بليغة تستحضر عند حدوث واقعة، فتذتع على الألسن و تصبح مضربا كلما وقعت حادثة مماثلة لها، ولم تسلم هي الأخرى من ظاهرة التناص فالشعراء يحاورنها لبلاغتها وجزالة ألفاظها ومعانيها .

نّهل يوسف القرضاوي من الأمثال العربية ما استطاب له منها و من بين الصور التناصية التى جاءت في شعره نجدها في قوله :

بَّرْقَ ولاَ مَطَرَ، و أَوراَقَ و لاَ ثَمَرَ، جَعْجَعَةً بِغَيرِ طَحـــــــــين[2]

تناص مع المثل التالي :

(أَسْمَع جَعْجَعَة ولا أرى طَحْنًا)[3]

يطلق هذا المثل على من أعطى وعدا ولن يوفي به و أيضا لكثرت الصخب الذي لا فائدة تجنّى منه، قام الشيخ باستحضار هذا المثل و امتص معناه ليسقطه على الصحافة و و سائل الإعلام التى تذيع أخبار لا صحة لها، و أنها مجرد أقوال زائفة التى تستوعبها

[1] المفضل بن سلية بن عاصم الضبّي، الفاخر في الأمثال، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2011، ص 8.

[2] يوسف القرضاوي، نفحات ولفحات، ص 56.

[3] اليوسي، الأزهر الأكم في الأمثال و الحكم، د ط ، د ت، ص 582.

الأسماع حال البرق الذي يخطف الأبصار و لا نرى المطر ،نقرأ الصحف و الجرائد و أوراقها محشوة بكلام ولا نرى حقيقته على أرض الواقع ،و كأنه يريد أنن يقول لا حاجة لنا بكلام كاذب تتلفظ به الأفواه و تدونه الأقلام لتجذب القارئ أو تستقطبه الأسماع لتذيعه بين المواطنين و يزرعون فيهم الأمل و دلالة هذا الاستحضار كشف حقيقة الأخبار التى تذيع و يوجه رسالة للعرب بأنهم أكثروا الكلام و أعطوا و عودا بتحرير مصر من قبضة المستعمر، لكنهم لم يحركوا ساكنا ثرثرة بلا فائدة.

أيضا استحضارا في قوله:

يَا رَبِّ إِنَّ السَّيلَ قَدْ بَلَغَ الزُّبَى و الأَمْرُ فِي كَـــــافٍ لَدَيْكَ و نُون[1]

تناص مع المثل الآتي:

(بَّلَغَ السَّيْلُ الزُّبى)[2]

يضرب هذا المثل للأمر الذي بّلغ منتهاه و غايته ،اجتر الشاعر المثل معنى و لفظا و أعادة كتابته وفق دلالة مختلفة مفاده أن مصر لن تبق على الحال الذي آلت إليه و لابد أن تنقلب كفة الميزان و ينّتصر الحق على حساب الباطل، وأن الظلم قد وصل درجته و ضاق الأمر بالبلاد و العباد و الله هو المفرج على عباده فأمر بين الكاف و النون (كن) فيكون، و كأنه هنا يدعو الله إلى تفريج هذه الكربة ودلالات التى ترمى إليها هاته الأبيات أن نهاية الحرب شيء لابد منه و استرجاع حرية الوطن التى اغتصبها العدو الغاشم.

[1] يوسف القرضاوي ،نفحات لفحات ،ص59.

[2] أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي ،الوسيط في الأمثال ، ت:الدكتور عفيف محمد بن عبد الرحمن ،مؤسسة دار الكتب الثقافية ،الكويت ،د ط ، 1985، ص 79.

كذلك في قوله :

يَا مَن زَرَعتَ الشَّرَ لَنْ تَجْنِّي سِوى شَرَّ و حِقْدَ فِي الصدُور دفِين [1]

تناص مع المثل الآتي:

(لَن تَّجْنّي من الشَوكِ العِنّبَ)[2]

معنى المثل أن الشر لا تستحصل منه خيرا، و الفساد لا تكتسب منه صلاحا والشيخ هنا أمتص المعنى منه و أدرجه في بيته ليخبرنا أن منبت الشر لن نجني منه سوى الشر ولن ينال منه الخير، ويستوطن الحقد الصدور، وهنا يعِدُ الحاكم الظالم أنه يوما ما مثلما زرع الشر في مصر و حطم أحلام شعبها سيجني ثماره بيديه و عندها لن تنفعه العساكر والحصون التي يتفاخر بها كما و أسقط المعنى المثل على زبانية السجن أنهم مثلما أبدعوا و تفننوا في التعذيب و تحريض الكلاب على نهش أجسام المعتقلين سيأتي من يفعل بهم ليحصدوا ثمار شرهم، دلالة استحضار أنه سيفعل بالفاعل مثلما فعل فويل لظالم.

وفي الأخير يمكن القول: إن صور التناص الأدبي مع الشعر و المثل تأتي بصورة مكثفة في قصائد يوسف القرضاوي بل استحضر منها ما يخدم تجربته الشعرية، لكنه دّس بين سطورها ما يلفت انتباه المتلقى لكي يتعاطف مع الواقع المرير الذي تعاني منه مصر فسال الدمع و كتب القلم ليخلد التاريخ صرخة الشيخ التى ربما تصفع من تقوقعوا عن أنفسهم و دخلوا في سبات لكي لا يسمعوا صرخة المستغيث.

[1] يوسف القرضاوي ،نفحات ولفحات ،ص 58.

[2] اليوسي ،الأزهر الأكم في الأمثال والحكم ،ص 73.

3_ التناص مع الشخصيات الأدبية:

من الشخصيات الأدبية التى استحضرها يوسف القرضاوي والتى ذاع سيتها في الجهاد، كما أنها خلفت أثر عظيما و طيبا في سبيل انتصار الدعوة الإسلامية، غير راضين بتدنيس الدين الإسلامي، وتشويه سمعت من حملوا هذه الرسالة، ومن بين هؤلاء الرجال الذين استدعاهم الشيخ يوسف القرضاوي نجد شخصية "حسان بن ثابت " في قوله:

هو الرَّسُول فَكُن فِي الشِعرِ وصُغْ مِنَ القَلْبِ فِي ذِكْرَاهُ أَلْحَانَا [1]

استدعى شخصية "حسان ابن ثابت " في مطلع قصيدته التى نظمها في ذكرى المولد النبوي الشريف عام 1370 هـ _1950 م ،كما نعرف أن حسان ابن ثابت شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم (أشهر ما لقب به حسان ابن ثابت شاعر الإسلام و رسوله الكريم فقد عاش لهما بشعره و وجدانه منذ أسلم زودًا و امتداحًا و حبًا، و فيهما غرز شعر)[2] هذا ما جعل يوسف القرضاوي يستدعيه في قصيدته لأنه هو أيضا إلى جانب الصحابة والخلفاء الراشدين الذين كرسوا حياتهم من أجل نصرة الإسلام، وقفوا إلى جانب الرسول صلى الله عليه وسلم و مساندته في إتمام دعوته، ودلالة هذا الاستدعاء أن شعر "يوسف القرضاوي " هو صرخات من أجل نصرة الإسلام وإحياء الضمير العربي و ليس بكلام لغو و هباء منثور، و أيضا يدل على أثر الاسلام وعقيدته في كلا الشاعرين و قوة إيمانهما و إخلاصهما لديننا الحنّيف وللرسول صلى إليه عليه وسلم حبهما له.

و نجد أيضا شخصية "صلاح الدين الأيوبي" استحضرها في قوله:

---

[1] يوسف القرضاوي، نفحات ولفحات ،ص 34.

[2] محمد عبد الحليم غيم، شعراء حول الرسول صلى الله عليه وسلم، مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع، بالمنصورية، ط 1، 2002، ص 52.

لِحِسَابِ مَنْ ضَرَبُوا بُطُولَةَ فَتيَةِ بَعثُوا صَلاَحَ الدِينِ فـــــي حِطِين؟[1]

استحضر الشاعر شخصية صلاح الدين الأيوبي لأنه رأى في الفتية نضاله عندما دافع عن فلسطين، هؤلاء الفتية أسقط عليهم صورة صلاح الدين عندما اعتقلوه بسب ذلك، هو حالهم أيضا كفائوهم بالاعتقال لأن أولئك الخونة كانوا لهم بالمرصاد يتربصون لكي يلقوا القبض عليهم فشنقوا وعذبوا وشردوا أهل مص لحساب من ؟لحساب الصهيون الغاشم.

استدعاء آخر لشخصية "نور الدين " و "المعتصم بالله "في قوله:

عَادُوا و مَا فـي الشرق (نُو ر الدين) يَحـــــــــكُم أو (صَلاَحَ)[2]

كما استدعى شخصية المعتصم بالله و خالد بن الوليد في قوله:

يَخْشَونَ ((يَعْرُبُ)) أن تَجُود بِخَالِدِ و بِكُلِ ((سَعد)) فَاتِح مـــــــــيمون

مَا ثُمَ (مُعْتَصِمْ) يَغِيْـــــــــــــــ ـثُ مَن اسْتَغَاثَ بِهِ و صَـــــــــاحَ[3]

الشاعر هنا استحضر هاته الشخصيات و من منا لا يعرف نضّالهم و كأنه يقول من كالمعتصم بالله و صلاح الدين، و خالد بن الوليد، هاته الشخصيات التى كان لها أثر كبير في تاريخ الأمة العربية و إلى يومنا هذا مازال التاريخ يحيهم، فالشاعر هنا من خلال هذا الاستدعاء كأنه ينبش على ماضي الأمة الإسلامية من خلال الشخصيات هذه وله غايتان:

الأولى يريد أن يزرع الخوف في الاستعمار الصهيوني، أما الثانية يريد أن يجعل من أبناء الأمة الإسلامية أن يكونوا مثل المعتصم بالله و خالد ابن الوليد.

---

[1] يوسف القرضاوي ،نفحات ولفحات ،ص 54 .

[2] المصدر نفسه، ص 80.

[3] المصدر نفسه ،ص 80.

لأن الجرح قد طال و لم يشف و الذّبح و البطش قد زاد عن حده ،ولكن تتحرك تهتز الجبال لصوت المستغيث و تصرخ الحجر و يئن الشجر إلا بنّي الأمة العربية لا يحركون ساكن، ودلالة هذا الاستدعاء عودة رجال الماضي في رجال الحاضر لكي يكونوا مستعدون لاستغاثة المظلومين و نصرة الحق ويحفظوا العهد و سيروا على خطى من سبقوهم.

يوسف القرضاوي لم يكثر من استدعاء الشخصيات الأدبية ،نجده اكتفى بشخصية حسان ابن ثابت كونه من أشهر الشعراء الذين سخروا شعرهم لخدمة الإسلام، كما استحضر الشخصيات التى سبق ذكرها وهي من أهم الشخصيات التى عرفت بالجهاد و نضال و لقيت اهتماما كبيرا من طرف الشعراء و كان لهم حضورا كبير في الشعر العربي.

من الطبيعي أن تخلص هذه الدراسة إلى جملة من النتائج وما توصلنا إليه من خلال رحلتنا بين طيات ديوان نفحات ولفحات نذكر الآتي:

- نجد أن التناص ظاهرة نقدية طغّت على النص الأدبي عامة و أضحت تسهم في إحياء النصوص القديمة في ثوب جديد، تحمل معان ودلالات جديدة، ورغم ذلك هناك من يراه عملية هدم لتلك نصوص.
- إن التناص مصدر لا ينّبض و يفسح المجال أمام الأديب في استدعاء النصوص التى يتكأء عليها في بناء تجربته الشعرية .
- التناص يتطلب ثقافة واسعة، لكي يتمكن الشاعر من إثراء تجربته الشعرية ،فهو يحضر بصورة جلية في شعر يوسف القرضاوي .
- ثراء ديوان "نفحات ولفحات" باستحضار النصوص الغائبة و تنوع مجالاتها ومصادرها مابين الديني والأدبي.
- كان الحظ الأوفرفي الحضور للتناص الديني فاستشفى مادته من القرآن الكريم والحديث الشريف، وهذا يدل على أن الشاعر متشبع دينيا ذلك كونه داعية إسلامية ملّم بالدين الإسلامي و السيرة النبوية، فنجده أبدع في توظيفها وإسقاطها على الواقع المعيش.
- ثراء الديوان بالشخصيات الدينية والتى تأثر بها الشاعر فاستحضراها لتكون صورة للمعتقلين فقد عاشوا المعاناة ذاتها.
- قطف الشاعر أيضا من الحقل الأدبي شعرا ونثرا، تنوع بين الشعر القديم والشعر الحديث والأمثال العربية فنجدها جاءت جلّية و واضحة، لا يكتنفها الغموض، فلم يبالغ في محاورة النصوص الأدبية و جاءت بصورة محتشمة، كي توضح الصورة أكثر دون عناء.
- تحضر في الديوان مجموعة من الشخصيات التاريخية استحضرها ليدعم بها الأفكار التى يريد طرحها و تكون دافعا قويا عليها ،مقابل ذلك تحضر الشخصيات الأدبية لكن بصورة محتشمة .

- أصاب الشاعر رمحه نحو الهدف من خلال توظيف هاته النصوص وذلك بكشف الستار على الواقع المعاش، و الحث على عدم الرضوخ للظلم.
- شعر يوسف القرضاوي هو صرخات تحررت من الكبت ليسخرها في خدمة المظلومين من الأمة الإسلامية .
- إن شعر يوسف القرضاوي كله يحث على الدفاع عن السيادة وصونها كما جاء يبكي المظلومين خاصة وطنه مصر.

يمكننا القول: أننا من خلال هذه الدراسة وقفنا على مواطن التناص في ديوان يوسف القرضاوي و تعرفنا على أهم المصارد التى استمد منها الشاعر النصوص الغائبة وفق ما إمتلكنا من إمكانيات.

وفي الأخير نقول إن الكمال لله عز وجل، و نرجوا أن نكون قد وفقنا في بحثنا هذا.

ملـــــــــــــحق

حيـــــــــــاته الشيخ يوسف القرضاوي

المـــــــولد والنشأة:

ولد الدكتور يوسف عبد الله القرضاوي عام 1926م في قرية ((صفط تراب))التابعة لمركز المحلة الكبرى،من أعمال محافظة الغربية بمصر.نشأ في أسرة متدينة رقيقة الحال يشتغل أفرادها بالزراعة ،وانتقل والده إلى رحمة الله تعالى وهو في الثانية من عمره فكفله عمه، وأحاطه من الرعاية بما يُفقده لدى الكثير من الآباء. ووجد في أبناء هذا العم الفاضل خير ما يلقاه أخ من إخوته البررة، فنشأ في جو من الحنان والرعاية كان فيه يَعتبر العمّ أبا و أبناء العم إخوة، واتسعت دائرة هذا العطف حوله حتى أصبح موضع رعاية من سائر أقاربه ،فكان هذا تعويضا عن يتمه المبكر.....[1]

ثقـــــــــــافته:

عرف الشيخ يوسف القرضاوي بحبه للعلم ،عندما بلغ الخامسة من عمره تم إلحاقه بأحد كتاتيب القرية الأربعة ليحفظ القرآن الكريم، ولما وافته السابعة أدخل المدرسة الإلزامية التابعة لوزارة المعارف، وقبل أن يبلغ العاشرة أكرمه الله فأتم حفظ القرآن الكريم حفظا لا يكاد يضيع منه حرفا مع الإلمام بأحكام التجويد فأقاموا له حفلا متواضعا وكرموه ،ومنذ ذلك اليوم أصبح في نظر أهل قريته " الشيخ يوسف" و ذلك بما منّ الله عليه من حسن التلاوة كثيرا ما كانوا يقدمونه ليؤمهم في الصلاة و بخاصة الصلاة الجهرية، حيث أصبحا في سن مبكر هذا ما حرمه فرص اللعب التى يستمتع بها أقرانه من الصبية و أعطاه الحصانة التي حفظت عليه شبابه ،والوقار الذي لازمه طيلة حياته.[2]

[1] يوسف القرضاوي ،نفحات ولفحات ،ص 8.

[2] المصدر نفسه ،ص 8.

فعاش الشيخ يوسف القرضاوي حياة إسلامية هنيئة في جو ريفي جميل يحمل في ثنياه عبير الحب و التعاون والصفاء، عاش مع أبناء قريته يقتبسون من نور القرآن و يقبلون غلى تلاوته و يتنافسون في حفظه.

وبعدها يسر الله له طريق العلم ،فالتحق أولا بمعهد طنطا الديني الابتدائي حيث قضى أربع سنوات ،انتقل بعدها إلى معهدها الثانوي الذي استمر فيه خمس سنوات، ومن ثم رحل إلى القاهرة للدراسة العليا في الكليات، حيث إلتحق بكلية أصول الدين ،وحصل منها على الشهادة العالية سنة 1952_1953 م و كان ترتيبه الأول على دفعته، ثم التحق بتخصص التدريس بكلية اللغة العربية، ثم التحق في عام 1957 م بمعهد البحوث والدراسات العربية العالية التابع لجامعة الدول العربية، فحصل منه على دبلوم عال في شعبة اللغة و الآداب، ثم التحق بقسم الدراسات العليا في شعبة القرآن و السنة من كلية أصول الدين ،فأتم سنواتها الثلاث بنجاح عام 1960م ،ومن ثم شرع في إعداد أطروحته للدكتواره عن ((الزكاة و أثرها في حل المشاكل الاجتماعية)) فحصل عليها عام 1973 م بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى من الكلية نفسها.[1]

أعماله الرسمية:

عمل الدكتور القرضاوي سنة 1956 م بمراقبة الشؤون بوزارة الأوقاف المصرية بالخطابة والتدريس في المساجد، ثم أصبح مشرفا على معهد الأئمة وفي سنة 1959 م نقل إلى الإدارة العامة للثقافة الإسلامية بأزهر الشريف للإشراف على مطبوعاتها و العمل بالمكتب الفني لإدارة الدعوة والإرشاد،وفي سنة 1961 م أعير إلى دولة قطر عميدا لمعهدها الديني الثانوي فعمل على تطويره و إرسائه على أمتن القواعد و الأسس العلمية والتربوية، و في سنة 1973 م أنشئت كلية التربية نواة لجامعة قطر، فنقل إليها ليؤسس قسم الدراسات الإسلامية و يرأسه.

[1] يوسف القرضاوي ،نفحات لفحات،ص 9 ،10.

وفي سنة 1977 م تولى تأسيس و عمادة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر، كما أصبح المدير المؤسس لمركز بحوث السنة والسيرة النبوية بجامعة قطر إضافة إلى عمله كعميد للكلية. [1]

شخصيات أثرت في حياته:

تأثر الشيخ يوسف القرضاوي في مستهل حياته بمدرسة الإخوان وشخصياتها البارزة وكانت أعظم شخصية تأثر بها في حياته الفكرية والروحية هي شخصية الإمام الشهيد ((حسن البنا)) مؤسس كبرى الحركات الإسلامية في القرن العشرين.

لقد تأثر القرضاوي بالإمام البنا كاتبا و محدثا و عالما و واعظا و بليغا ومربيا للشباب والأجيال، كما تأثر بإمام الدعوة وقائدها فقد تأثر أيضا بعدد من علماء الإخوان المسلمين أمثال الشيخ محمد الغزالي و الشيخ البهي الخولي، و كان تأثره بهذه المدرسة أقوى من تأثره بالدراسة الرسمية في الأزهر و مشايخه، ومن الشخصيات الأزهرية التى كان لها أثر في نفسه: المغفور له الدكتور محمد عبد الله دراز و كذلك الشيخ محمود شلوت والدكتور عبد الحليم محمود، وتأثر أيضا بكتابات شيخ الإسلام ابن تيمية و الإمام ابن القيم والشيخ محمد رشيد رضا.[2]

الأحداث الى عاصرها:

عاصر الدكتور القرضاوي أحداثا في غاية العظم والأهمية عاصر الحرب العالمية الثانية، و الاستعمار الإنجليزي لمصر ،وحرب القنال، و حرب فلسطين، و وقوع النكبة الأولى و قيام دولة إسرائيل، و وقوع نكبة 1967 م التى احتلت إسرائيل فيها القنطرة و القنيطرة و سقطت القدر و المسجد الأقصى في يد اليهود.

[1] يوسف القرضاوي ،نفحات ولفحات ،ص 13 ،14.

[2] المصدر نفسه ،ص 10،11.

فلم يكن القرضاوي في عزلة عن هذه الأحداث فقد شارك فيها _ منذ كان طالبا في الابتدائي _بقلبه و أعصابه و عقله و لسانه....نظم القصائد و ألقى الخطب و حرض جماهير الطلاب على المظاهرات ضد الظلم و الظالمين.

و لعل الشيء الذي جعله على صلة عميقة وحيّة و مباشرة بأحداث بلده ووطنه العربي والإسلامي هو :الاتصال المبكر بحركة الإخوان المسلين فقد نقلته ممن جو الشعر و الأدب الذي كان هوايته، إلى جو الدعوة العامة إلى الإسلام، ومن طريق الوعظ العام إلى أفق الحركة الإيجابية الشاملة، التى تعمل على خلق تيار إسلامي عام وتكوين جيل يفهم الإسلام فهما صحيحا ويؤمن به ويجاهد في سبيله.

وقد أدى انتماءه إلى دعوة الإخوان المسلمين و جهاده في سبيل الإسلام إلى اعتقاله عدة مرات. أولها: اعتقاله سنة 1949 م نحو عشرة أشهر في عهد الملك فاروق وهو طالبا في سنة الخامسة الثانوية ،و كان اعتقاله الثاني :في 2 يناير 1954 م و لمدة شهرين و نصف في عهد الثورة ،ثم في نوفمبر 1954 م و لمدة عشؤين شهرا تقريبا، ثم في يونيو 1962 م نحو خمسين يوما قضاها في سجن انفرادي في مبنى مخابرات الثورة .[1]

وبعد أن خرج القرضاوي من المعتقل سنة 1956 م ،حرمت عليه حكومة الثورة أن يتصل بالجماهير عن طريق الخطابة والتدريس ،فلم يجد أمامه إلا القلم يخاطب به الناس ،في صورة مقالات في مجل منبر الإسلام و مجلة الأزهر، وفي صورة كتب كان أولها كتاب ((الحلال و الحرام في الإسلام)) وتلته مجموعات من الكتب والأبحاث في مجالات شتى و دفعه هذا إلى التفرغ للبحث العلمي و الكتابة.[2]

آثـــــــــاره:

ألف الدكتور القرضاوي مجموعة كبيرة من الكتب في مختلف جوانب الدراسات الإسلامية

[1] يوسف القرضاوي ،نفحات ولفحات ،ص ،12،13.

[2] المصدر نفسه، ص 13.

أصيلة في بابها، تلقاها أهل العلم في العالم الإسلامي بالقبول والثناء و طبع أكثرها عدة مرات، و ترجم عدد منها إلى جملة من لغات العالم الإسلامي، وفيما يلي بيان بتلك الكتب:

1_ " قطوف دانية من كتاب والسنة " عام 1951 م وقد طبع مرتين.

2_"الحلال والحرام في الإسلام" عام 1960 م .

3_"العبادة في الإسلام "،عام 1961 م و طبع عدة مرات.

4_"الناس والحق"عام 1966 م ،طبع عدة مرات و ترجم إلى التركية والفارسية.

5_"مشكلة الفقر و كيف عالجها الإسلام" عام 1967 م.

6_"الإيمان و الحياة "طبع عدة مرات.

7_"فقه الزكاة":في جزئين كبيرين ،عام 1969 م.

8_"الشريعة الإسلام: خلودها و صلاحها للتطبيق في كل زمان و مكان" طبع عام 1973 م.

9_"فتاوى معاصرة" [1]

وغيرها من المؤلفات، أما نشاطه في الشعر فكان أديب ومعاصر و شاعر إسلامي من شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث الذين عايشوا الحركة الإسلامية في صميم جهادها و تفاعلوا معها، و رافقوها في طريقها الطويل المحفوف بالمكاره والمحن.

شاعر نظم قصائد و أناشيد ردّدها دعاة الإسلام، و تربّت عليها أجيال شدت بها الألسن و هفت إليها الأنفس، فأيقظت القلوب بالإيمان و أشعلت الأرواح الجهاد.

ومن مميزات شعره السلاسة والتدفق، والصدق في الإحساس و التصوير والأسلوب القصصي، و الالتزام بعقيدة التوحيد وبالفكر الإسلامي، وقد اشتهر بقصائده الطوال

[1] يوسف القرضاوي، نفحات ولفحات، ص 19.

الفريدة من نوعها موضوعا و حجما مما يدل على طبع سخي وشاعريته فياضة ،مما يجعله مؤهلا للقصة والملحمة.[1]

و كان يمكن أن يكون القرضاوي شاعرا ملء الأسماع و الأبصار لو أنه تفرغ للشعر والأدب .... و لكنه ترك الشعر و تفرغ للكتابة في المجالات الدعوة المتعددة، فقدّم للأمة ذخائر من الفكر والدراسات الإسلامية أنارت الطريق أمام الأجيال المسلمة.[2]

[1] المصدر نفسه،ص 21،22.

[2] يوسف القرضاوي، نفحات ولفحات،ص 20.

قائمة المصادر و المراجع

*القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

I_ المصادر:

1_ يوسف القرضاوي، نفحات ولفحات، دار الهدى، عين ميلة، الجزائر، (د ط) ،(د ت).

II_ المراجع:

أ_ المراجع العربية:

2_ أحمد زغبي ،التناص نظريا وتطبيقيا، مؤسسة عمون للنشر وتوزيع، عمان الأردن ط 2 ، 2000.

3_ إبراهيم مصطفى محمد الدهون ،التناص في شعر أبي علاء المعري، عالم الكتاب الجديد، عمان، الأردن، (د ط)، 2011.

4_ الإمام الشافعي ،ديوان الإمام الشافعي، تح:عمر حافظ سليم سعيدة، دار القدس للنشر و التوزيع، ط 1 ،2002.

5_ الإمام مسلم ،صحيح مسلم ،كتاب الطهارة باب فضل الوضوء تح :نظم بن محمد الفرابي أبو فنيبة ،دار طيبة ،د ط ،2006.

6_ جمال مباركي، التناص و جمالياته في الشعر الجزائري، دار هومة، الجزائر، (د ط) 2003.

7_ حصة بادي ،التناص في الشعر العربي الحديث ،دار الكنوز المعرفة العلمية ،عمان الأردن ،ط 1 ،2009.

8_ رفيقة سماحي، التناص في رواية خرفان المولى لـ: ياسمينة خضراء، دروب ثقافة لتوزيع و النشر، عمان، الأردن ،(د ط)،2012.

9_ سعيد يقطين ،انفتاح النص الروائي (النص والسياق) ،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 2 ،2001.

10_ سعيد يقطين ،الرواية والتراث السردي (من أجل وعي جديد بالتراث)، المركز الثقافي العربي ،بيروت ،لبنان ،ط 1 ،1992.

11_ سعيد سلام ،التناص التراثي (الرواية الجزائرية أنموذجا) عالم الكتب الحديث أربد الأردن، ط 1 ،2010.

12_ سعيد يوسف أبو عزيز، رجال و نساء حول الرسول صلى الله عليه وسلم، دار الفجر للتراث لنشر وتوزيع، القاهرة، مصر، ط 1، 1991.

13_ شرف القضاة، المنهاج الحديث في علوم الحديث، الأكاديميون لنشر والتوزيع عمان، الأردن، ط 1، 2009.

14_ ظاهر محمد الزواهرة ،التناص في الشعر العربي إستراتيجية التناص ، دار البيضاء بيروت، لبنان، ط 1 ،1902.

15_ عصام حفظ الله واصل، التناص التراثي في الشعر العربي المعاصر، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، د ط ،2010 .

16_ عبد الله الغذامي، الخطيئة و التفكير من البنيوية إلى التشريحية، الهيئة المصرية للكتاب ،الإسكندرية، مصر، ط 4 ،1998.

17_ عبد القادر بقشي ،التناص في الخطاب النقدي و البلاغي دراسة تطبيقية ،إفريقيا بشرق، دار البيضاء، المغرب ،(د ط)،2007.

18_ المتنبي أحمد بن الحسنيين ،ديوان المتنبي ،دار بيروت للطباعة والنشر ،بيروت لبنان ،د ط ،1938.

19_ محمد مفتاح ،تحليل الخطاب الشعري إستراتيجية التناص، دار البيضاء ،بيروت لبنان، ط 1 ،1902.

20_ محمد بنيس ،ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، دار التنوير لطباعة و النشر بيروت، لبنان، ط 2 ،1985 .

21_ محمد عبد الحليم غنيم، شعراء حول الرسول صلى الله عليه وسلم، مكتبة الإيمان للنشر و التوزيع بالمنصورية، ط 1 ،2002.

22_ مصطفى السعداني، التناص الشعري قراءة أخرى لقضية سرقات، منشأة المعارف الإسكندرية، مصر، (د ط) ،1991.

23_ مفيد قمحة ،ديوان الحطيئة ،برواية و شرح ابن سكت، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 1 ،1993.

24_ المفضل بن سلمة بن عاصم الضّبي، الفاخر في الأمثال، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط 1 ،2011.

25_ مهلهل ابن ربيعة ،ديوان ابن ربيعة ،شرح وتقديم طلاح حرب ،دار العلمية ،(د ط) (د ت).

26_ نبيل حسين ،تناص دراسة تطبيقة في شعر شعراء النقائض جرير والفرزدق والأخطل، كنوز المعرفة ،عمان، الأردن ،ط 1 ،2009.

27_ اليوسي ،الأزهر الأكم في الأمثال و الحكم ،تحقيق :محمد حجمي و محمد الأخضر، دار الثقافة، دار البيضاء، المغرب ط 1 ،2002.

ب_ المراجع المترجمة:

28_ جوليا كريستفيا، علم النص ،تر : فريد الزاهري ،دار توبقال، الدار البيضاء المغرب ،ط 1 ،1992.

29_ جيرار جنيت ،مدخل إلي جامع النص ، تر: عبد الرحمن أيوب ،دار توبقال ،بغداد العراق ،د ط ،د ت.

30_رولان بارت ،لذّة النص ،تر :منذر عياشي ،مركز الإنماء الحضاري،الإسكندرية ،مصر ،ط 1، 1994.

31_ رولان بارت ،نقد وحقيقة ،تر :منذر عياشي مركز الإنماء الحضاري ،الإسكندرية مصر ،ط 1 ،1994.

32_ كاتي وايلز ،معجم الأسلوبيات ،تر :خالد الأشهب ،المنظمة العربية للترجمة بيروت لبنان ،ط 1 ،2014.

III _ المعاجم:

33_ صبحي حمود ،المنجد الوسيط في اللغة العربية المعاصرة ،دار المشرف ،بيروت ،لبنان ،ط 1 ،2003 ،مادة (نصص) .

34_ مصطفى ابراهيم ،المعجم الوسيط ،دار التراث العربي ،بيروت ،لبنان ،د ت ،مادة (نصص) .

35_ ابن منظور، لسان العرب ،صادر للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، ط 1،1997 المجلد السابع، مادة (نصص).

IV_ الرسائل الجامعية:

36_ أحمد سامي زكي منصور، شعر المقنع الكندي، قسم اللغة العربية و الدراسات الإسلامية ،كلية التربية ،جامعة طنطا، مصر ،2011.

37_ نزار عيشي، التناص في شعر العيسى، رسالة ماجيستر ،كلية آداب و العلوم الإنسانية ،الأردن، جامعة البعث ،2005.

V_ المجلات:

38_ مجلة الحجاز العالمية، المحكمة للدراسات إسلامية و العربية العدد الخامس ،نوفمبر 2013.

39_ مجلة الأفكار، عمان الأردن، العدد 727، أيلول 2011.

VI_ المواقع الإلكترونية:

40_ www.mawdoo3.com،08_ 04_2018 ، 12:44.

41_ www.mawdoo3.com،04_05_2018 ،15:55.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضـــــــوعات

- مقدمة ..... (أ_ ج)

- الفصل الأول (التناص المفهوم والنشأة والتطور)

1_ ماهية التناص

1_1 _ لـــــــغة.....5

1_2 _ اصطلاحا 6

2_ التناص في النقد

2_1 تناص في النقد العربي.....8

2_2 تناص في النقد الغربي.....11

3_ آليات ومستويات التناص

3_1 آليات التناص.....16

3_1_1 التمطيط.....16

3_1_2 الإيجاز.....19

3_2 مستويات التناص 19

3_2_1 مستويات التناص عند جوليا كريستفيا.....20

3_2_2 مستويات التناص عند محمد بن نيس.....21

الفصل الثاني: التناص الديني

1 التناص مع القرآن الكريم.....24

2 التناص مع الحديث النبوي.....36

3 التناص مع الشخصيات الدينية.....39

الفصل الثالث : التناص الأدبي

1 التناص مع الشعر.....49

2 التناص مع المثل.....55

3 التناص مع الشخصيات الأدبية.....58

_ الخاتمة.....62

_ الملحق.....65

_ قائمة المصادر والمراجع.....72

_ فهرس الموضوعات 78

ملخص

تبحث دراستنا في التناص متخذة من ديوان "نفحات و لفحات" لـ يوسف القرضاوي موضوعا لها هذه مستحوذة على مصطلح التناص بوصفه مصطلح غربي الولادة، و لا يمكننا أن ننفي أنه له جذورا في الأدب العربي القديم والحديث أيضا،كما أنه أصبح ظاهرة نقدية بارزة في جلّ الأعمال الأدبية لذا لقيت اهتماما كبيرا من قبل الدارسين.

و قمنا في دراستنا هذه بالبحث عن مواطن التناص في ديوان "يوسف القرضاوي" و كشفنا عن أهم المصادر التى استقى منها الشاعر مادته و نسج خيوط تجربته الشعرية موضحين دلالات هذا الاستحضار، وصولا إلى هدف الشاعر وغايته منها كونه استند عليها ليعبير عن رؤيته الشعرية للواقع المعيش.

Abstract

This study is looking at the Interference using the "Nafhat and Lefhat" library of Yusuf al-Qaradawi as its subject describing its originality as a western term. Also, we can not deny that it has roots in ancient and modern Arabic literature as well. In addition, it has become a prominent phenomenon of monetary in most of the literary works so it received great attention by the scholars.

Through this study, we searched for the places of interference in the library of Yusuf Al-Qaradawi and revealed the most important sources from which the poet drew his material and weaving the threads of his poetry experience, showing the implications of this evocation in order to find the goal of the poet and his purpose of it as based on it to express his poetic vision of the reality of living.